سُكَّان القَمَر

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الديوان: سُكَّان القَمَر

اسم المؤلف: جمال سلمان

التدقيق اللغوي: د. ياسر عوض

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٨٠٧٤ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٤٢٨-٣-٤

مسار للنشر و التوزيع

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

01020439639

massar.pub1@gmail.com

سُكَّان القَمَر

جمال سلمان

مسار
للنشر و التوزيع

إهداء

إلي كلٍ من..

(أمي،

إيلان كردي)

أُعْجُوبَةٌ أَنْتِ

أُعْجُوبَةٌ أَنْتِ خِلالَ كُلِّ طَبيعَةٍ
أُنْشُودَةٌ فِي فَمِ الجمَالِ دَائِمَةْ
تَتَخلَّلِينَ كُلَّ حُسْنٍ وَلِكُلِّ حُسْنٍ شَرِيعَةٌ
رَبِيعٌ لَهُ الوُرُودُ صَائِمَةْ
أَراكِ خَالِدَةً فِي تَارِيخِ المجهُولِ
الذِي يَحوِي كُلَّ جَمِيلٍ فِي الأَزْمِنَةِ المُظلِمَةْ
وَالذِي تَخْتبِئُ فِيْهِ المناظِرُ القَدِيمَةُ
وَتَختفِي فِيهِ الجمَائِلُ القَادِمَةْ
مَنْ رَآكِ وَلَـمْ يُسبِّحْ فِيكَ اللهَ
مَا هُوَ إلَّا حَاقِدٌ نَظْرَتُهُ قَاتِـمَةْ

وَمَنْ سَاوَاكِ فِي كَليلَتُكِ وَرَسْمُكِ
رُبَّمَا يَحْيَا بَيْنَ الحُورِ الحَالِـمَةْ
وَأَنَا مَنْ يُقرُّ بِأَنَّكِ العَدْلُ
الذِي يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا الظَّالِـمَةْ
وَكُلُّ مَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ سَهْلٌ
إِذَا كُنْتِ أَنْتِ مَنْ فِيهِ قَائِمَةْ
عَلَيْكِ أَن بِلَا إِرْثٍ تُعلِنِي
انْفِصَالُكِ عَنْ دُنْيَا لَيْسَتْ بِكِ عَالِـمَةْ
وَإِلَيكِ أَشْكُو مَا يَهُزُّنِي
مِنْ مَشاعِرٍ بَاتَتْ لِكَيانِي قَاسِمَةْ
وَلَا أَحلمُ أَبَدَاً أَنْ تُحبينِي
وَيَكْفِينِي مِنْ عَيْنَيْكِ نَظْرَةٌ هَائِمَةْ
بِهَا سَأَكْتَفِي بِمَا عِشْتُ فِي الدُّنْيَا

وَسَأَخلدُ سَعِيدًا وَرَوحِي سَالِـمَةْ

لَوْ أَنَّ لِلجَمَالِ أَسْرَارٌ وَخبَايَا

إِذاً فَأَنْتِ مَالِكَتُهَا وَمنْ بِهَا كَاتِـمَةْ

وَلَوْ عُرِفَ لِلْحُسْنِ اتجاهَاتٌ وَزَوايَا

لَكُنْتِ الخَرِيطَةُ الدَّالَّةُ الحَاسِمَةْ

لَا عَلَيْكِ أَنْ تَطْلُبِي شَيْئاً

فَكُلُّ شَيْءٍ تَمَنَّي أَنْ تكُونِي لَهُ عَاصِمَةْ

وَعَيْنَيْكِ حِينَمَا رَأَتْهَا زُهُورُ الدُّنْيَا

تَمَنَّتْ لَوْ تَدُمْ لِنَظْرَتِهَا خَادِمَةْ

وَبَعْدَ أَنْ كَانَ دَوْمَاً يُدرِكُهَا الغَرَقُ

أَصْبحَتْ بِرُؤيَاكِ المعادِنُ عَائِمَةْ

وَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَا تُفارِقُهَا البَسمَةُ

أَصْبَحَتْ لِفُراقُكِ الزُّهورُ سَائِمَةْ

وَبَعْدَ أَنْ دَامَتْ تَرجُمُ وَتُوَسْوسُ

لَـمْ تَعُدْ بِرُؤياكِ الشَّياطِينُ كَمَا كَانَتْ رَاجِمَةْ

وَبَعْدَ رَحِيقٍ كَانَ يَخْرُجُ مِن الزَّهَرِ

اسْتَخَاطَ نَفسَهُ وَاخْتفَى لِلَمْسَتكِ الكَالِـمَةْ

فَفِي وُجُودُكِ يَسْتَخِيطُ وَيَخْتفِي

وَيَتَواجَدُ حِينَ كَونُكِ نَائِمَةْ

العِزُّ كَانَ يُنْسَبُ لِذَوي القُصُورِ

فَسَكَنُوا لِأَجْلكِ التُّرَابَاتِ الرَّادِمَةْ

وَالخُلدُ الذِي كَانَ يَنسَاهُ النَّاسُ

رَأَوهُ حِينَمَا رَأَوكِ وَتِلْكَ هِيَ الأَنظِمَةْ

وَبَعْدَ اسْتِعجَابٌ لِرُؤيَةِ السَّمَاءِ وُضِعَ

فِيكِ العجَبُ يَا مَنْ لِلعَجَبِ مُلهِمَةْ

وَبَعْدَ انْفِلَاتِ الأَمْنِ مِن الدُّنْيَا

أَصبحَ الأَمَانُ لِلوجُودِ سِمَةْ

أَيُّ عَقْلٍ هَذَا الذِي يَتَصَوَّرُكِ

إِنَّمَا أَنْتِ المَرغُوبَةُ المُلاَئِمَةْ

وَأَيُّ خَاسِرٍ هَذَا الذِي يَخْسَرُكِ

وَلَا تُوجَد مَنْ هِيَ عَلَيْكِ مُزَاحِمَةْ

آهٍ مِنْ مَلمَسِ شَعرِكِ كَأَنَّهُ

كَأَنَّهُ يُحرِّكُ الجِبَالَ المُرغَمَةْ

وَيجعَلُهَا بِالبُسْمَانِ مُتَفَاعِلَةٌ

إِنَّكِ لَحَقّاً لِلسُّوءِ سَاقِمَةْ

وَالنَّفعُ وَالسَّمعُ وَالطَّبعُ وَالبَصَرُ

كُلُّهُمْ عَلَيْكِ أَشْيَاءٌ مُسَاومَةْ

وَالصَّبرُ وَالجَشَعُ وَالطَّمَعُ وَالوَرَعُ

كُلُّهُمْ فِي سَبِيلِكِ أَشْيَاءٌ مُقَاومَةْ

فَبِكِ تَغيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ حَيْثُ

لَهُ مِنْ رُؤيَتِكِ حَارِمَةْ

وَحَيْثُ يَرَكِ فَلَا عَجَبٌ وَلَا إِبْهَارٌ وَإِنَّمَا

يَسْتَقِرُّ القَلَمُ فِي الأَوْضَاعِ الرَّاسِمَةْ

يُصَوِّرُكِ كَأُسْطُورَةٍ مِن الأَسَاطِيرِ التي

تَحكِي عَنْ شَمْسٍ لِكُلِّ ظُلمَةٍ هَادِمَةْ

رَبَّاهُ لَا أَدرِي كَيْفَ يَسْرِي كَيانُكِ

بَيْنَ بَشَرٍ لَيْسَتْ أَروَاحُهُمْ مُغرمَةْ

وعَلَى أَرضٍ لَا يُوجَدُ بِهَا أَعْوَانُكِ

وَفِي هَذَا تَبدُو حَيَاتِي مُؤلِـمَةْ

وَفِي وَقْتٍ لِعَجَلَتِهِ لَمْ تَقِفْ بِهِ سِيقَانُكِ

التِي أَرسَتْ جِبَالاً مِن النُّورِ نَاعِمَةْ

وَلَكِنِّي أَدرِي أَنَّكِ حَتْماً

لِهَذَا وبِهَذَا رَاضِيَةٌ فَاهِمَةْ

بِمَا أَنْشَأَكِ فِيهِ اللهُ

وَبِمَا قَدْ جَعلَكِ عَازِمَةْ

أَعوانُكِ فِي الجَنَّةِ حَيثُ كَانُوا كَصلاحُكِ

صَالحِينَ كُلَّ فَترَةٍ وَأُمَّةْ

وَسِيقَانُكِ فِي خُلدِهَا سَتَثْبُتُ بِأَمرِ رَبِّ

العَالَمِينَ رَبِّ كُلِّ مَلِكَةٍ وَأَمَةْ

وَرَاحتُكِ بِهَا سَتَتَنَابْتُ وَتَنبُتُ

يَا مَنْ فِي زَمَنِي خَيرُ مُسلِمَةْ

لَا أَحتَاجُ لِوَصفِ غَيرُكِ فَوَصْفُ

غَيرُكِ نِيرَانٌ لَيْسَتْ لَهَا قِمَّةْ

وَلَا سَماءٌ بِلَا طَيرُكِ فَطَيرُكِ

خِلَالَهَا يُؤَاخِي الصَّفَاءَ بِالعَظَمَةْ

وَأَمَلِي مِـمَّنْ لَهُ حَمْدِي وَشُكْرُكِ أَنْ يَرضَي

عَنْكِ كَرِضوانِهِ عَن الزَّهراءُ فَاطِمَةْ

* * *

مَلكَةُ الشّام

رَسْمُكِ شَبيهٌ بِطُقُوسِ الجَنَّةِ وَزِينَتِهَا

وَحِلمُكِ مَردُودٌ إِلَى طُولِ البِلادِ وَعَرضِهَا

كَافَأتِي الجَمَالَ لَـمَّا احْتَسَبتِيهِ فَردَاً

مُقَرَّبَاً مِنْ سُمو أَنْوارُكِ وَشِدَّتهَا

مَا عَلِقْتُ مِنْ قَبْلُ بِمِثلِ وَصَفكِ شَاخِصَاً

حَتَّى ظَهرتِي فَخَالفَتْ الدُّنْيَا عَادتَهَا

وَهَدَّدَنِي اليَأسُ مُحبطَاً وَمُثَبطَاً وَلَكِنِّي

مَا عَرَفْتُ مِنْ قَبْلُ لِلهَزِيمَةِ حُضُورهَا

تُبْدِينَ مِنْ بَيْنِ بَنَاتِ الدُّنْيَا رَشِيدَةً

الصَّمتُ فِي قَلبِهَا وَالنَّورُ فِي عَينِهَا

وَيُشْقِيكِ مِنْ سُوءِ البَلاءِ نَفْيٌ

جَعَلَ مِنْكِ مُهَاجِرَةً تَرْتَضِي بَعْضَ أَمنِهَا

فَتَرَكْتِي مَنْ عَهِدُوا سُؤالَكِ وَجَوابَكِ

وَجِئتِي إِلَى مَنْ لَا يَعرِفُونَ لِرِقَّتِكِ قَدْرَهَا

بَعِيدَةٌ أَنْتِ عَنِ الخَيالِ والمَنالِ

وَيَبدُو فِي أَمانِيكِ أَسْرَارٌ يَصْعُبُ ذِكْرُهَا

لِأَنَّكِ لَا تَرتَضِينَ العَيشَ بِغَيرِهَا

وَلِأَنَّكِ لَا تَملُكِينَ رَاحتَكِ بِدُونِهَا

مَا سَأَلْتِي أَحَدًا مِنْ قَبْلُ عَنْ مُنَاهُ

لَأَنَّكِ تَعلَمِينَ أَنَّكِ فِي أَمَانِيهِ أَوَّلُـهَا

وَمَا أَشْقَاكِ أَبَدًا بُعْدَ القَرِيبِينَ

لَأَنَّكِ اكْتَفَيتِي بِعِزِّ نَفْسِكِ وَحَظِّهَا

وَلِنْتِي لَـمَّا الهَوى أَصَابَكِ قَلِيلاً

وَسَأمْتِي لَـمَّا مَنْ أَحَبَّك بِغَيرِ حِسٍ قالَهَا

تُقَدِّري الحَرَكَةَ وَتَرقُبِي البَرَكَة

فَأَنْتِ مُعْتَادَةٍ عَلَى كُلِّ نِعمَةٍ وَأَثَرِهَا

وَمَنْ يُعْجبُكِ فِي الدُّنْيا لَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ

لَأَنَّكِ تَرقُبِينَ مِنْ أَرضِ الأَحْلامِ حِلمهَا

فَيَسْتَحِيلُ عَلَى الكَثِيرِينَ لَفتَ قَلبُكِ

مَا دَامَتْ السَّماواتُ مَرفُوعٌ سَقْفُهَا

عَزِيزَةً فِي السِّؤَالِ وَكَرِيمَةً فِي الجَوابِ

وَكَأَنَّ كُنوزَ الجَمالِ عِنْدَكِ عَقْدُهَا

وَلَا تُشْبِهُ بَعْضَ أَثِيرُكِ مَلِكَةٌ مَهْما

اتَّسَعَ وَزَادَ مَا عَلَيْهَا مِنْ جَمالٍ أَوْ لَـهَا

عَالِيَةٌ وَتَنظُرِينَ إِلَى أَعلَى

وَخَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ ذَرَّةِ حِقدٍ أَوْ بَعْضِهَا

وَلَكِنَّ الخَلْقَ فُطِرُوا عَلَى الطَّعْنِ

فَيَقُولُ عَنْكِ البَعضُ مَكسُورٌ صَبرُهَا

وَلَكِنَّ صَبركِ لَيْسَ الذِي يَزْعمُوهُ

بَلْ هُوَ انتظارُ أَمَلٍ يُنِيرُ حَياتَكِ وَيُرسِهَا

وَيَجْعَلُ ابْتِسَامَتَكِ مَوصُولةً لِلْقَلبِ

وَيَجْعَلُ مِنْ دُمُوعكِ مَمْحِيٌّ ذِكْرُهَا

إِنَّ بَنِي الجَمَالِ إِذَا اعْتَادُوا عَلَى حَاجَةٍ

كَانَ أَظْلَمَ النَّاسِ بِهِمْ مَنْ حَاوَلَ مَنْعهَا

وَإِذَا لَـمْ تَجِدِي أَمَامَكِ مَا أَلِفْتِيهِ

فَثَائِرَةٌ عَينُكِ وَترفُضُ حَتَّى فَتحهَا

وَهَذَا لَا يُوجِدُ الأَسَى عِنْدَكِ دَوْمَاً

وَالأَسَى عِنْدَكِ فَقَدَ شُجُونَهُ وَفَاتَهَا

لَا يَقدِرُ عَلَى أَنْ يَطَأَ كَيانَكِ عَازِمَاً

وَإِنَّمَا مَكسُورٌ أُوكِلَتْ لَهُ زِيارَتُكِ فَمَا رَفَضَهَا

فَهَذَا حُلمٌ لَهُ دَامَ يَطلبُهُ وَيَرجُوهُ

حَالُهُ حَالُ عَينِي التِي رَجَتْ فِيكِ ظِلَّهَا

أَبَداً لَا يَستَوِي عِنْدَكِ أَصْحَابُ الكَلامِ

مَا لَـمْ تَكُنْ كَلِمَاتُهُمْ بِالسِّحرِ يُعقَدُ نُطقُهَا

فَمِثلُكِ مَا دَارَ شِعرٌ إِلَا حَولَهَا

وَمِثلُكِ مَا طَابَ حُسنٌ كَحُسْنِهَا

أَمَّا القَدِيمُ مِنْ حَياتكِ فَمَترُوكٌ لِقَلبكِ

وَأَمَّا الجَدِيدُ فَالخَوفُ وَالحِيرَةُ كُلِّهَا

لِأَنَّ أَمَانِيكِ قَدْ عَزَّ لَـمْحَهَا قَدَراً

وَلِأَنَّ مَعَانِيكِ مَا عَرَفَ أَحَدٌ تَفسِيرَهَا

رُبَّ دَارٍ سَكَنْتِيهَا كَانَتْ هَادِئَةً

أَعْطَتْ لِرُوحُكِ بَعضَاً مِنْ عَزَائِهَا

وَلكِنَّ الحَياةَ يَا صَدِيقَتِي كُلْفَةٌ

لَا بُدَّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَدْفَعَ حُزنَهَا

فَإِنْ آلَتْ بِقَلبُكِ لِلثَّنَاءِ مَوَاضِعٌ

فَقَدْ ذَهبَتْ أَحْزَانُكِ رَاغِبَةً بِذهَابِهَا

إِنَّ اللهَ أَكْرَمَكِ بِمَا نَدَرَ وَقَلَّ

فَاصْبِرِي قَلِيلاً تُلاقِي عَينُكِ أَملَهَا

وَاعْلَمِي أَنَّ فِي بَعْضِ الرِّجَالِ ذَكَاءٌ

يُعَامِلُ بِهِ سُموّكِ حَقَّ مُعَامَلتِهَا

فَإِنْ لَـمَحَ ظِلَّكِ فِي يَومٍ هَادِئٍ

شَدَّ عَزْمَهُ تِجَاهَ حَركَتِكِ وَسُكُونِهَا

فَإِلَّـمْ تَجِدِيهِ فَانْتَظِرِي وَاسْتَرفِعِي

حَتَّى تَنْحَنِي لَكِ شُئونُ الدُّنْيَا وَعُرفُهَا

فَمَا مِنْ سَأَمٍ سَتُعانِيهِ يَومَاً طَالَمَا

تَرِينَ فِي مِرْآتكِ صُورَ النُّجُومِ وَأَصْلِهَا

لَا عَلَيْكِ مِنْ دنُوِّ مَنْ تَعْرِفِيهُمْ

فَهَذَا اسْتِرسَالٌ إِلَى حَيَاةٍ وَقَعَ شِقُّهَا

وَصِدْقُكِ الذِي تُحِبِيهِ وَيُحِبُّكِ

سَيَجْعَلُ أَيَّامَكِ غَزِيرٌ نَفْعُهَا

وَمَا تَأَلَّى لِخَيَالِي فِيكِ عَيْبٌ

إِلَا أَنَّكِ عَرِفْتِينِي فَمَا كُنْتُ كَفِيًا بِهَا

لِأَنَّنِي مُتَأَثِّرٌ بِغَزْوِ الجَمَالِ لِبِلادِي

وَلِأَنَّنِي أَصْبَحْتُ مَجْنُوناً بَعْدَهَا

وَفِي ثَبَاتُكِ وَجِدَالُكِ يَقَعُ غَضَبُكِ

فَكَأَنَّهُ غَيْثٌ أَضَافَ إِلَى الأَرْضِ خَيرَهَا

تَسْعَدُ عُيُونُ النَّاسِ بِسَخَائِكِ

وَتَسْعَدُ عُيُونُكِ بِمَا لَا يَسْتَحِقُّ نَظَرَهَا

وَفِي خِطَابِ أَهلُكِ أَنْتِ حَاكِمَةٌ

مَا دَامَ البَيتُ نَاصِعٌ بِالحَياةِ وَشَكلِهَا

فَلَا يَأمُرُكِ أَحَدٌ وَلَا تَأمُرِي

وَلَكِن كُلُّ حَاجَةٍ صَالِحَةٍ فِي مَكانِهَا

إِذَا مَشَيتِي اتَّسَعَ قَلبُكِ لِلخُطَى

وَإِذَا وَقَفْتِي فَقَدْ رَأَيتِي لِلْجَمَالِ مُنْتَهَى

وَمَا يَنْقُصُكِ إِلَّا مَا يَزِيدُكِ

وَمَا يَزِيدُكِ إِلَّا ضَوءُ النُّجُومِ وَرَصْدِهَا

فَالحِسُّ غَالِبٌ عَلَى مُطَالَعَةِ نَفسِكِ

وَالصَّمتُ يَجْعَلُ أَزْيَاءَكِ خَفِيٌّ نُورُهَا

وَلَقَدْ ضَاقَ بِي الوَصْفُ لِضَعْفِي

إِذْ أَنَّنِي الآنَ فَوقَ سَمَاءٍ بِالغَيبِ طَرفُهَا

فَلَنْ أَكتَفِي بِمَا قُلتُ وَأَنسَحِبُ

حَافِظاً مَاءَ رَوْحِي التِي ذَهَبَ عَزْمُهَا

وَلَكِنْ امْنَحِينِي مِنْ وَقْتِكِ لَحْظَةً أَقُصُّ

فِيهَا عَلَيْكِ قَصَصَ الجَمَالِ وَعُمرهَا

فَأَمَّا أَوَّلُـهَا فَأَنْتِ وَآخِرُهَا

وَمَا بَيْنَكُمَا فَأَوْقَاتٌ لَزَمَ وُجُودُهَا

هَذَا لَا يَدعُوكِ لِلْغُرُورِ فَإِنَّكِ

مَا احْتَجْتِي مِن الدُّنْيَا غيرَ اسْمِهَا

***

حَرْبٌ وَسِلْم

مَا الذِي يَحْمِلُكِ عَلَى أَنْ تَغْتَرِّي

وَتَتَعالَي عَلَى قَلْبِي وَبِأَرضِ حُبِّي لَا تُثْمِرِي

لِجَمَالكِ الزَّائِدِ أَمْ لِـحُسْنكِ العَائِدِ

إِلَى جَمحِ الخَيالِ الذِي إِيَّاهُ تَأسِرِي

أَعْلَمُ أَنَّكِ بِكُلِّ مَا نَدَرَ نَاصِعَةٌ

مِنْ دَهَاءٍ مُشْمِسٍ بِهِ لِـمَا أَرَدتِّي تُبَادِرِي

أَكَانَ ذَنْبَاً عَظِيماً أَنْ أَفْصَحْتُ لَكِ

بِسَوَادِ الأَيَّامِ دُونَ خِطَابِكِ العَاسِرِ

فَحَتَّى كَلِمَاتكِ بِالتَّرَفُّعِ مَنطُوقَةٌ

وَكَأَنَّكِ وَحْدَكِ بِأَرضِ اللهِ تَسِيرِي

أَشْكوكِ وَأَنَا مُضْمِرٌ إِلَى رُكْنِ قَلْبُكِ

فَمَا العَائِدُ مِنْ لَوْمِي خُلِقَ وَلَنْ تعتَذِرِي

إِلَا أَنَّنِي أَعْلَمُ فِيكِ عَادَةً صُغرَى

وَهِيَ التَّرَاجُعُ حِينَ حِيازَة النَّصْرِ

فَبِهَا تَنْسبِينَ نَفْسَكِ لِجُملَةِ العَالَمِينَ

وَلَكِن فِي عَالَمِكِ أَنْتِ لِكُلِّ خَصْمٍ تَكْسِرِي

وَلَكِنِّي لَسْتُ بِالمُسَاوِمِ وَلَا المُقَاوِمِ

إِنِّي عَاشِقٌ أُرِيدُ أَنْ إِلَى حَالِي تَنْظُرِي

مِنْ حَيثُ رَأَيتِي فِي الدُّنْيَا غُيومَاً

كُنْتُ أَنَا السَّحَابُ الذِي إِيَّاهُ تُبْصِرِي

فَمَا دَفَعنِي مَجْدٌ إِلَى التَّأَلِّي

وَمَا مَنَعَنِي إِلَّا لَمْحُ صُوتِكِ المُبْهِرِ

خِلْتُ أَنَّنِي أَبذِلُ فِي سَبِيلُكِ أَزْمِنَةً

لَعَلَّ وُصُولِي لِقَلبُكِ يُوشِكُ أَنْ يَجْرِي

وَدَخلْتُ أَرضَ كِبرِيائِك دُونَ صَبرٍ

لِعِلْمِي أَنَّكِ عَلَى سَخَائِي لَنْ تَصْبِرِي

أُردِّدُ الشِّعرَ وَهُوَ فِي عَينُكِ كَلامٌ

يُشْبِهُ نِدَاءَ مُعدَمٍ لَبِثَ أَمَامَ القَصْرِ

وَأُجْبِرُ نَفْسِي عَلَى العَيشِ مُرغَمَاً

وَالحَقُّ أَنِّي مُغْرَمٌ فَكَّ الهَوَى أَسْرِي

لَوْلا غِنَاكِ عَنِّي وَعَنْ غَيرِي لَرُبَّمَا

مَا كُنْتِ فِي مُعَامَلَتِي بِجُمُودٍ تَسْتَمِرِّي

لَرُبَّمَا إِنْ عِشْتِي قُرُونَاً تَظِلِّينَ هَكَذَا

لِأَنَّهُ لِيْسَ لِعِظَمِ جَمَالِكِ مُشْتَرِي

أَقْدَرُ بِي أَنْ أَهْجُرَ مَحَبَّتَكِ

مِثلَمَا أَنْتِ عَلَى تَهْمِيشِي تَقْدِرِي

وَلَكِنَّ الحَياةَ يَا أُخْتَاهُ مُبْصِرَةٌ

بِمَا نُكِنُّهُ قَادِمَاً لَا أَدْرِي وَلَا تَدْرِي

فَمِن الحُبِّ مَا يُولَدُ الآنَ وَلَا يُرَى

ثُمَّ بِجَلالِ شَأنِهِ تُفصِحُ الأَيَّامُ وَتُنذِرِ

وَيَا سَمَائِي كَيْفَ تَرينَ حَاجَةً دُونَكِ

وَلَا يَدعُوكِ كَرَمُكِ أَبَدَاً أَنْ تُمْطِرِي

تَخَلَّيْتُ عَنْ أَنْفَتِي وَأَقْنَعْتُ عِزَّتِي

بِأَنَّ حُبَّكِ سَعَادَةٌ لَنْ يَلْمِسهَا بَشَرِ

جَهْرًا بِالقَولِ وَعَزفَاً بِالوَهْمِ

بِأَنَّكِ يَا كَونَ الجَمَالِ بِكَوْكَبِي سَتَحْضُرِي

إِنَّ مُرُورَ العُمرِ أَسْوأُ مِنْ ثُبُوتِهِ

وِإِنَّنِي الآنَ أَسْتَمِلُّكَ يَا عُمرِي

مَا دَامَ نَيْلُ الحَبيبِ لَا يَرِدُ

فَالأَيَّامُ مُؤلِـمَةٌّ وَلَيْسَ فِيهَا مَا يُغْرِي

أَنْتِ فِي أَوجِ سُمُوُّكِ عَادِلَةٌ

وَأَظْلَمُ النَّاسِ أَنَا لِإطَالَةِ نَظَرِي

إِلى تِبْيَانِ عَيْنِكِ وَإِنْصَافُ حِلْمِكِ

فَهَذَا رَجَاءٌ فِي قَلْبِكِ بِهِ تَتَعَثَّرِي

وَيَعِيقُ قَصْدَكِ إِلَى أَبَدِ التَّحَكُّمِ

وَيَجْعَلُكِ يَوْمًا عَازِمَةً عَلَى شُكْرِي

وَلَا أَلْمَحُ أَبَدًا إِلَى عِظَمِ جَهْدِي

إِنَّمَا الدِّرَايَةُ بِالغِنَى تَحْجُبُ الفَقْرِ

وَمَنْ يُؤنِسُكِ مِثلِي بِأَحادِيثِ الهَوَى

وَمَنْ يُلْفِتُكِ مُنَاهُ وَخَيالُهُ غَيرِي

فَأَقْدَارُ النَّاسِ عِنْدَكِ شِبْهُ دَانِيَةٍ

وَلَا أَعْلَمُ إِنْ كَانَ ذَاكَ قَدَرِي أَوْ قَدْرِي

وَلَـمَّا نَظَرْتُ إِلَى مَولِدي وَمَوْلِدكِ

رَأَيْتُ العَامَ وَاحِداً وَاليَومَ وَالشَّهرِ

قُلْتُ يَا اللهُ لَقَدْ تَسَاوَيْنَا بِشَيْءٍ

وَجَعَلَنِي هَذَا بِعَظْمِ الأَمَلِ أَسْتَدِرِ

وَأُجَابِهُ الخَوْفَ الذِي أَسَرَنِي مِنْكِ

فَإِمَّا يرحَلُ سَالِـماً أَوْ هَالِكًا يَنْتَظِرِ

ثُمَّ لَـمَّا أُسَوِّيهِ بِالعَدَمِ أَسْأَلُكِ

هَلْ جَالَ الحُبُّ بِقَلْبِكِ يَوْمَاً مِن الدَّهرِ

فَتَنْفِي وَتُنْكِرِي وَتُنْكِرِي وَتَنْفِي

وَتُنْكِرِي وَتَنْفِي وَتَنْفِي وَتُنْكِرِي

هَذَا لَيْسَ طَوْعَاً لِحُبٍ أَوْ تَكَلُّفٍ

وَلَكِنَّكِ ذَاتُ عِزٍ عَزِيزٍ وَمُزْدَهِرٍ

فَأَقُولُ لَكِ أَبَدَاً أَبَدَاً هُوَ

فَبِكُلِّ مَا يَحْوِيهِ الخَجَلُ تَشْعُرِي

وَتَقُولِي إِنِّي أَحْبَبْتُ بِحياتي مَرَّةً

وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ خَيَالِـهَا المُمْطِرِ

فَأَقُولُ يَكفِي أَنَّكِ بِهَا دَنَوْتِي مِنْ

مُعَامَلَةِ العِبَادِ أَوْ حَتَّى التَّظَاهُرِ

ثُمَّ تَتَأَلَّمِي لِكَلامِي وَتُوجِدِينَ دَمْعَةً

لَمَّا أَرَاهَا يرانِي وَأرَى قَبْرِي

فَأَعْجَبُ مِنْ بَلاغِ حَالكِ وَنَوعِهِ

كَيْفَ يَا شَامِـخَةً آسِفَةً تَظْهَرِي

فَتَقُولِي يَا أَخِي إِنَّ الحَيَاةَ كَافِيَةٌ

لِجَعْلِ القُلُوبِ بِالنَّدَامَةِ تُقِرِّ

فَأَقُولُ وَمَاذَا عَنْ عِشْقِي لِبنَانكِ

أَمَا زَارَكِ فِيَّ تَأَثُّرٌ أَوْ تَعَسُّرِ

فَتَنظُرِي إِلَى المِرْآةِ وَتنظُرِي إِليَّ

وَكُلُّ بَنَاتِ الأَرضِ كَرْهَاً تُحْضِرِي

وَتقُولِي اخْتَرْ مَا طَابَ لَكَ مِنْهُنَّ

فَيَسْوَدُّ وَجْهِي وَيَرتَدُّ عَصْرِي

وَأَقُولُ مَا كُنْتُ يومَاً مُرِيدَ غَيرِكِ

فَلِمَا التَّوسُّلُ وَلِمَا التَّحَسُّرِ

فَتَقُولِي أَتَقْصِدُ أَنَّكَ يُعْنِيكَ شَأْنِي

فَأَقُولُ بَلَى فَتَلِينِي وَتَنْكَسِرِي

وَتَقُولِي ظَنَنْتُكَ كَمَا الطَّامِعينَ بِجَمَالِي

فَأَقُولُ خُذِي مِنِّي سَمْعِي وَبَصَرِي

فَسَأَظَلُّ كَمَا أَنَا دُونَ العَنَاءِ عَاشِقٌ

لَا يَنْفَطِرُ وَجْهِي وَلَا يَنْكَسِرُ ظَهْرِي

فَتَرْحَمِينِي وَتَرْأُفِينَ بِوَفَائِي أَخيراً

وَتَستَوِي مَحَبَّتُنا دُونَ تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرِ

وَلَا أَقُولُ أَبَداً كَسَرْتُ كِبريَائَكِ

بَلْ حُضُورٌ لِلقَلبِ وَتَغيُّبٌ لِلفِكرِ

وَإِنْ أَثَرْتُ سَخَطكِ يَومَاً مَاضِياً

سَأُمَارِسُ اعْتِذارِي بِكَلِمَاتِي وَشِعْرِي

❋ ❋ ❋

قِطْعَةٌ مِنْ كَبِدِهِن

عَلْيَاءُ الهَوَى سَقَطَتْ مِنْ مَعَالِيهِ
وَأَسْمَاءُ الحُبِّ مَا تَوصَّلَتْ إِلَيهِ
وَنَدَى العُمرِ مَا طَالَتْ هَواجِسَهُ
وَنورُ الأَملِ مَا أَبْصَرَتْ دَواعِيهِ
وَبَسْمَةُ الأُنثَى مَا خَجلَتْ مِنْ كَذِبِهَا
وَمُنَى التَّوافُقِ مَا كَانَتْ تَلِيهِ
أَيُكُنَّ إِذَا حَدَّثتُهَا مَالَتْ رَاغِبَةً
وَإِذَا انْتَهَيْتُ تَحْمِلُ كَلَامِي فَتُلقِيهِ
ثُمَّ فِي اليَومِ الذِي بَعْدَهُ تكرِّرُ
فِعْلتَهَا وَقَلبِي كَثُرَتْ مَسَاعِيهِ

تَرَى فِي حُبِّ الرِّجَالِ أَناقَةً

وَتَرَى فِي حُبِّ النِّسَاءِ تَـمْوِيهِ

وَأَصْدَقهُمَا هُوَ المُحسِنُ فِي حُبِّهِ

وَالأَقلُّ حُبّاً أَمَانِيهِ تُلهِيهِ

هِيَ تَأمَلُ أَحْسَنَ الرِّجَالِ مُطْلَقَاً

وَهُوَ يَأمَلُهَا هِيَ وَلَا يرَى لَـهَا شَبيهِ

يُجَارِي ضَحكَاتِهَا المَكْذُوبَةُ بِالخَجَلِ

بِعَطْفٍ أَوْسَعُ وَيُطلِقُ ضَحكَاتِهِ

ثُمَّ إِذَا حَانَتْ لحَظةُ وَدَاعِهِمَا

يَتَحَسَّرُ عَلَى فُراقِهَا وَلَا تَبْكِي عَلَيهِ

لَيسَ لِأَنَّهَا مَا تَشْعُرُ بِفُقدَانِهِ

وَلَكِن لأِنَّهَا فَقَطْ كَانَتْ تُسَلِّيهِ

ثُمَّ لَـمَّا مَا عَادَ يَنفَعُ طُمُوحَهَا

فَرَّتْ مِنْهُ مُسْرِعَةً وَلَا تُحَاكِيهِ

فَيَعجَبُ وَيَسْأَلُهَا أَيْنَ الهَوَى

فَتَقُولُ مَا كُنْتُ أَعرِفُهُ وَلَا أُلاقِيهِ

فَيَقُولُ وَلَكِنَّنِي أَحْبَبْتُكِ بِقُوَّةٍ

فَتَقُولُ مَا كَفانِي حُبُّكَ وَمَا كُنْتُ أكفِيهِ

فَيَشْتَدُّ أَنِيناً وَيَقُولُ أَأَنْتِ

وَاعِيَةٌ بِمَا تَقُولِينَهُ وَمَا تَفْعَلِيهِ

فَتَقُولُ مَا كُنْتُ أَكْثَرُ وَعْياً

مِن الآنَ ثُمَّ الذِي يَلِيهِ

هُوَ أَكْثَرُ مَالاً مِنْ سَلَفِهِ

وَحُجَّتُهُ فِي الهَوَى لَا تُجَاهِيهِ

وَكَلامُهُ لَيْسَ فِي جَمَالِ السَّابِقِ

وَلَكِنَّ حالهُ أَيْسَرُ فِي التَّوجِيهِ

وَهِيَ تَظُنُّ فِيهِ الرَّاحَةَ الأَجْوَدُ

وَهِيَ لَا تَظُنُّ إِلَّا مَا تَسْتَهْوِيهِ

حَلاَوَةُ لقائِهِمَا فِي فُراقِهِمَا

إِذْ أَنَّهَا تُحَايِلهُ وَتَسْتَنْدِيهِ

وَلَا يُكَلِّمُهَا إِلَّا قَلِيلاً

وَلَكِنَّهُ عِنْدَهَا مِثْلُهُ مِثلَ أَبيهِ

مِثلَ أَيِّ رَجُلٍ سَهلٍ تَأْكُلُهُ

وَيَكُونُ فِي أَيدِيهَا لَيْسَتْ فِي أَيدِيهِ

ثُمَّ يَوْماً بَعْدَ يومٍ تَمَلُّ سُكُوتَهُ

وَتَسْتَفِزُّ الكَلامَ وَالحَنَانَ فِيهِ

وَهُوَ بِجمعِ المَالِ مَشْغُولٌ

كُلَّمَا لَاقَتْهُ لَا تُلاقِيهِ

فَلَا يَأبَهُ لَهَا بِحَالٍ يَسِيرٍ

وَالكَلامُ يَتْعِبُهُ وَالصَّمْتُ يَعْتَرِيهِ

ثُمَّ لَا تَجِدُ لِـحَياتِهَا وَنَفسِهَا طَعْماً

وَتَقُولُ رُبَّمَا أَصْبِرُ حَتَّى أَحْتَوِيهِ

ثُمَّ تُدرِكُ أَنَّهَا لَا تَرَى فِيهِ شَيْئاً

يُبْهِجُ قَلْبَهَا حِيْنَ تُنادِيهِ

فَتُقَرِّرُ عَزْلَ حَياتِهَا عَنْ حَياتِهِ

فَيقُولُ مَا الذِي مِنِّي تَشْتَكِيهِ

فَتقُولُ مَا عُدتَّ تُعنِينِي بِشَيْءٍ

وَأَنَا لَا أُحِبُّ إِلَّا الذِي أُعْنِيهِ

فَيقُولُ وَلَكِنِّي قَدَّمْتُ لَكِ الدُّنْيَا

فَتقُولُ لَيْسَ فِي دُنْيَاكَ مَا أَشْتَهِيهِ

فَيُشِيرُ بِإِصْبعِهِ أَأَنْتِ مُبْصِرَةٌ

بِمَا تُرِيدِينَهُ وَمَا تُنشِدِيهِ

فَتقُولُ مَا أَبْصَرْتُ إِلَّا الآنَ

وَالآنَ أَعْلَمُ لِقَلبِي مَا يُدَاوِيهِ

فَتَتْركُهُ وَتَسْتَذْكِرُ الذِي كَانَ

يُشَخِّصُهَا بِالأَجْمَلِ فِي عينَيهِ

وَلَكِنَّهُ مَا عَادَ يَنْفعُهَا أَيْضاً

فَلَقَدْ تركَتْهُ وَجَعَلَتْ مِنْهُ سَفِيهِ

وَتَشعرُ بِكُلِّ أَنَّةٍ فِي قَلبِهَا

وَتَبْحَثُ عَنْ رَجُلٍ جديدٍ تُسَمِّيهِ

فَتَرَى الرِّجالَ كُلَّهُمْ وَاحِدَاً

فَتَقُولُ وَيْحُكُمْ أَيْنَ الذِي أُحَادِيهِ

فَلَا يَلتَفِتُ إِلَيْهَا أَحَدٌ وَهِيَ

بَاحِثَةٌ وَشَوقَهَا تُدَارِيهِ

حَتَّى تيْأَسَ مِنْ أَنِيسٍ لِوحْدَتِهَا

فَيأتِيهَا رَجُلٌ حَنونٌ تُدَلِّيهِ

فَتَقُولُ أَنْتَ البَاقِي مِنْ حَياتِي

وَالمَاضِي مِنْ حَياتِي أَنْتَ تُمْحِيهِ

فَيَقُولُ عُذرَاً يَا سَيّدَتِي

لَسْتُ أَنَا الذِي تَنْتَظِرِيه

فَتَقُولُ وَمَا شَأنُكَ بِي إذاً فَيَقُولُ

أَنَا البُخلُ الذِي كُنْتِ تَعيشِيهِ

فَتَقُولُ أَكُنْتُ أَنَا بَخيلةً يَومَاً فَيُجيبُ

بَلَى وَلَكِنَّكِ مَا حَفظتِي مَا كُنْتِ تَمْلكِيهِ

وَأَهْدَرتِي مِنْ كُنُوزِ الرِّجالِ كَثِيراً

طَامِعَةً فِي إِحْصَاءِ مَا لَا تَتَخَيَّلِيهِ

الآنَ أَنَا جَلِيسُكِ الوَحيدُ

الذِي مِنْ بَيْنِ الدُّنْيَا تَسْتَحِقِّيه

فَتبكِي وَتَقُولُ أَغِثنِي يَا إِلَهِي

فَيَقُولُ الآنَ تَسْتَعْطِفِينَ مَنْ تعبُدِيه

فَلَقَدْ رَزقَكِ الثَّراءَ فَرَكَلتِيه

ثُمَّ رَزقَكِ السَّخاءَ فَجَحدتِّيه

ثُمَّ يَكَادُ يَقْتُلهَا بُكَائُهَا

حَتَّى يَترُكهَا البُخلُ بَعْدَ تَمَادِيه

وَتَقُولُ الآنَ سَأُصْبحُ كَرِيمَةً

وَلَنْ أُفرِّطَ حَتَّى فِي الذِي أُقاسِيه

فَتَقعُ فِي رَجُلٍ شَديدُ الحِمَى

هُوَ أَعْوَصُ مِنْ حَاكِمٍ كَثُرَتْ رَوَاعِيه

فَتَقُولُ لَهُ احْكُمنِي يَا أَمِيرِي

فَيَقُولُ بَلْ أَنَا الذِي تَحكُمِيه

فَتَقُولُ إِنَّكَ سَمِحُ المَلامِحِ فَيَقُولُ

وَأَنْتِ تُعنِي الجَمَالَ وَتُرَادِفِيهِ

فَتَشْتَدُّ حُبًّا فِي خَصَائِصِهِ

وَهُوَ يجْعَلُ مِنْهَا بِكُلِّ شَيْءٍ تَفتدِيهِ

حَتَّى يَتّفِقَا عَلَى مُواصَلَةِ الهَوَى

فَيَصِلاَنِ فِي الهَوَى إِلَى أَعَالِيهِ

ثُمَّ تُقَابِلُ فِي السُّوقِ رَجُلاً ثريًّا

إِذَا فَتَحَ كِيسَهُ يُغنِي مَنْ حَوالَيهِ

فَيُدَاعِبُهَا بِبَسْمَةٍ صَغِيرَةٍ

فَتَذهَبُ كَارِهَةً مَنْ لَا يَسْتَوِيهِ

وَتَقُولُ مَا عُدتُّ أُطِيقُكَ فَيَقُولُ

وَمَنْ مِنْ قَبلِي كُنْتِ تُطِيقِيهِ

فَتَقُولُ خَلِّ مَا بَيْنِكَ وَبَيْنِي

فَأَنَا مَحْمُولَةٌ عَلَى مَا أُعَانِيهِ

فَتَدمَعُ عَينُهُ وَيقُولُ أَأَنْتِ مُتيَقِّنَةٌ

فَتَقُولُ الآنَ يقينِي وَلَا أُفَادِيهِ

وَتَذهَبُ لِذَاكَ الذِي دَاعَبهَا

ثُمَّ تَرَى مِنْهُ سِمَاتَهُ وَتُرِيهِ

وَكَلامُ القَصِيدَةِ لَنْ يَنْتهِي

إِلَّا إِذَا جَاءَتْ هِيَ فَتُنهِيهِ

* * *

الحَيَاةُ فِي المَاضِي

فِي فَلَكِ الأَزْمَانِ تَحْتَارُ القُلُوبُ
أَنْ تُكَابِدَ هَواهَا أَوْ عَنْهُ تَتُوبُ
تُسْقِي نَفسَهَا مِنْ مَاءِ الشَّوقِ مَا
يَفْصِلُ بَيْنَ شُرُوقِ الدُّنْيَا وَالغُرُوبُ
وَفَاتَهَا مِنْ لَمْسِ الحُسْنِ مَا فَاتَهَا
وَمَا زَادَهَا الحُسْنُ جَبْرَاً إِلَّا عُيوبُ
فَمَن اقتَنَى دُونَ سَاعِدَ الرُّوحِ هَوَاهُ
جَعَلَهُ الهوَى مِنْ كُلِّ مَوتٍ مَطلُوبُ
تَزَايَدَ عُمرُ العَاشِقِ الأَغنَى
فَمَا رَقَّ عَظمُهُ مِنْ جُمُودٍ أَوْ غُيُوبُ

فَمَا زَالَ يُحِبُّ حَتَّى طَغَى حُبُّهُ

عَلَى تَنَاغُمِ الأَحْلاَمِ مَعَ القلُوبُ

سِرُّهُ أَسِيرٌ بَيْنَ صَمْتِهِ وَحِلْمِهِ

إِنْ حَاوَرْتَهُ أَغْنَاكَ عَنْ تَجْرِبَةِ الرّسُوبُ

إِنْ دَانَ قَلبُكَ بِمِثْلِ مَا دَانَ بِهِ

فَمَا الأَمْثِلَةُ كُلُّهَا ذَاتُ فَهْمٍ مَكتُوبُ

رَأَى فِي سِنِينِ الحُبِّ مَآثِرًا

تَكْشِفُ السَّقَمَ فِي القَلبِ المَسْلُوبُ

وَتَمَنَّى وَلَـمْ يَنَلْ وَتَأَنَّى وَلَـمْ يَزَلْ

يُسَاوِمُ عَلَى رَوْحِهِ كُلَّمَا أَتَاهُ مَحبُوبُ

وَلا يَعُدُّهُمْ بِعَقلِهِ بَلْ يَحُدُّهُمْ بِقَلبِهِ

وَيَرغَبُ الإِنْسَانُ مَا لَيْسَ مِنْهُ مَرغُوبُ

يَقِفُ تَحْتَ بَيْتِ حَبِيبَتِهِ وَيَنظُرُ

وَيعلَمُ أَنَّهَا وَالمَاضِي ذَهَبَا وَالذُّنُوبُ

وَلَكِنَّهُ يَسْتَشْعِرُ بَعْضَ حَنانِهَا

عَسَى أَنْ يَنجَى بِهِ مِنْ سَهَرٍ غَلُوبُ

وَيُحَدِّثُهَا وَهِيَ غَائِبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّنِي

أَعْتَذِرُ لَكِ عَنْ حَظِّيَ المَسْكُوبُ

فَمَا أَحَطْتُّ بِعِلمٍ وَلَا سُلطَانٍ بِهِ

أَصِلُ إِلَى حُدُودِ عَرشِكِ المَنسُوبُ

خُلِقْتُ ضَعِيفَاً فَلَمَّا عَرَفتُكِ

جَعلْتُ القُوَّةَ بِأَكْوَانِي تَجُوبُ

فَلَمَّا عُدْتُّ وَجَدْتُّكِ رَحلتِي

فَمَا انْتِظارُكِ فَرضٌ عَلَيْكِ بَلْ مَعِيبُ

لِأَنَّنَا مَا سَكَنَّا غَيْرَ بُيوتِنَا فَرضَاً

وَإِنْ رَحلَتْ قُلُوبُنَا زَمنَاً سَوفَ تَؤوبُ

وَلَا تَنْدَمِي إِنْ ذَكَرتِي حُبِّي لَحْظَةً
فَإِنِّي مُقسَّمٌ مَا بَيْنَ محَنٍ وَكُرُوبُ
لَعَلَّكِ أَنْجَبْتِي طِفلاً ذَا مَهَابَةٍ
إِذَا مَشَى أَمَامَكِ فَقَلبُكِ بِهِ مَغلُوبُ
وَتُحْسنِينَ إِلَى الأَقْدَارِ وَالأَسرَارِ
وَتَحُولِينَ بَيْنَ النَّارِ وَالنُّشُوبُ
حَكِيمَةٌ إِذَا شَكَوتِي أَوْ حَكَمتِي
تُفضِّلينَ الإنْسِحَابَ وَلَيْسَ الهُروبُ
لَـمْ تَعُدْ أَحْلامُكِ تِلْكَ الضَّئِيلَةُ
فلَقَدْ وَزنَتِي الدُّنْيَا بِوَجْهٍ مَقلُوبُ
فَعَرَفتِي أَنَّ العِزَّ فِيْهَا صَمْتٌ
وَرَأَيتِي أَنَّ الحُبَّ هُوَ أَبُو الحُرُوبُ
سِيقَانُكِ لَـمْ تَعُدْ تَهتَزُّ مِنْ خَوفٍ

فَالأَمَانُ الآنَ أَرضُكِ وَالنُّورُ المَهِيبُ

لَعَلَّكِ بِجِنَانِ اللهِ تَجُولِي سَيْراً

وَمَا بَيْنُكِ وَبَيْنَ لَمسِهَا إِلَّا أَثرٌ يَطِيبُ

مَحْمُولَةٌ أَفعَالُكِ فَوْقَ كَاهِلِ مَلَكٍ

يُسبِّحُ فِي إِحْسَانِكِ اللهَ كُلّ مَكتُوبُ

وَفِي مَسائِكِ كُلُّ وَرْدٍ يَتَزَيَّنُ عَسَى

أَنْ تَلمِسيهِ فَيَنحَنِي لِأَثَرِكِ وَيَذُوبُ

وَتَفنَى أَحْزانُكِ وَتَغنَي أَغْصَانُكِ

التِي تَحرِصِينَ عَلَى زِينَتِهَا كُلَّ غُرُوبُ

وَإِنْ زَارَكِ الأَذَى أَوْ الأَسَى فَمَقهُورٌ

لِأَنَّ دِفاعَكِ حَصِينٌ وَرَدُّكِ رَهِيبُ

لَا تَنحَنِي أَنْتِ وَلَنْ تَنحَنِي أَنْتِ

فَأَنْتِ لِذَاتِ الجَمَالِ عَدْلٌ وَتَرتِيبُ

لَا حَرمَكِ اللهُ مِنْ رِضَاهِ الذِي

تَعِيشِينَ بِعِزِّهِ فِي طَعامٍ وَمَشْرُوبُ

وَإِنَّنِي فِي ظِلالِ مَا أَذكُرُكِ بِهِ أَحْيَا

وَالحَاضِرُ الذِي أَحيَاهُ مُخِيبُ

فَسَقفُ أَحْلامِي تَحْتَ قَدَمَيكِ

وَعُمقُ آلامِي لِفُرَاقكِ العَجِيبُ

وَلَكِنَّنَا نُصْبِحُ عَلَى ذَاتِ أَجْسَادِنَا

وَلَنْ نَمْنَعَ الرِّياحَ يَومَاً مِن الهُبُوبُ

وَذَاكَ التَّوسُّلُ الذِي أَجَدْنَاهُ خَالِدٌ

إِلَى مَا انْتَسَتْ قُلُوبُنَا بِهِ أَيَّ نَصِيبُ

فَمَا الحَالُ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَجْرُورٌ

وَلَنْ يَكُونَ المُضَافُ إِلَيْنَا مَنْصُوبُ

فَاخْتَلَفَ طَرِيقُنَا حَولَ حِوَارٍ

كُنَّا اتَّفَقْنَا فِيهِ أَنْ عَنْ حُبِّنَا نغيبُ

وَهَا أَنْتِ الأَذكَى وَالأَحْلَى

وَفَهمُكِ عَنْ فَهمِ العَالَمِينَ يَنُوبُ

وإِنِّي مَا عَيِيْتُ بِفَرْحَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ

مِثْلَمَا قَسَمَنِي غِيابُ صَوتُكِ المُثِيبُ

أَعْنَانِي كُلُّ مَا تَخُطِّيهِ بِلسَانكِ

وَأَنسَانِي حَدِيثُكِ كُلَّ هَمٍ عَصِيبُ

رُبَّ أَنَّ جُدرَاناً تَعِيشِينَ بَيْنَهَا

جَرَى بِهَا دَمٌ مِنْ مَلمَعِ خُلُقكِ الدَّؤُوبُ

ثُمَّ بُعْدَ الأَعْوَامِ وَالأَعْلاَمِ يُرينَا

أَنَّ الحَياةَ سَهْمٌ فِي أَرَضِ فِكرنَا يُصِيبُ

بَيْنَ مَا نَبْغِيهِ وَمَا نَبْتَغِيهِ فَصْلٌ

مِنْ دِقَّةِ الآلامِ وَالخَلَلِ المُرِيبُ

فَاحْتِمَالُ الحُبِّ أَقوَى احْتِمَالٌ

يُمكِنُنَا السَّيرُ بِهِ خِلالَ دُنْيَا التَّنقِيبُ

فَإِنْ وَجَدنَاهُ مُؤثِراً آثرنَاهُ حَقَّاً

وَإِنْ وَجَدنَاهُ مُعسِراً فَاللهُ بِنَا حَسِيبُ

يَجمَعُ مَنْ يَشَاءُ بِمَنْ يَشَاءُ قَدَراً

وإِنَّ الأَسْعدَ هُوَ مَنْ يُجِيدُ التَّعقِيبُ

أَكملِي حَياتَكِ وَلَا تُؤلِمِي نَفسَكِ

فَإِنَّكِ لِصَوتِ الجَمَالِ وَشَكلِهِ طَبِيبُ

❋ ❋ ❋

تَـــــــرَدُّد

مَا سَبَقْتُ حِلمِي قَبْلكِ يَا

خَبيرَةً بِالحَياةِ وَحَياةِ المَزايَـــــا

حَيَائُكِ خَالِصٌ وَهُوَ يَمْنَعُنِي مِنْ

مُخالَطَةِ القَادِمينَ أَوْ البَقايَـــــا

فِي فِطرَتكِ دَلاَلاَتِ الُحسْنِ

وَحُسْنُكِ قَدْ أَسرَ الجَمِيعَ عَدايَـــا

لِأَنَّنِي أَعْلَمُ صِغرِي وَوَضعِي

أَمامَ جَبرُوتكِ مُسْقِي السَّقايَـــــا

فَاتَتني بَعْضٌ مِنْ مَلامِـحكِ

وَأُشهِدُكِ إِعْلانِي لِـحُضُورِكِ فَنايَـــا

فَكَيْفَ أَقدِرُ عَلَى مُجَابهَةِ رَسْمِكِ

وَبَعْضُ قَولِـكِ يُـــوقِــفُ مَـــدَايَا

لِئَلاَّ يَكُونَ عَلَى قَلبِي حُجَّةٌ

فَقَدْ دَانَ لَكِ بِـــخَوفٍ لَيْسَ لَهُ ثَنَايَا

وَلَوْلَا اسْتِعمَالُ الحُبِّ فِي الغَدرِ

لَأَحبَّكِ مُنْطلِقاً مُتَخَطِّي الزَّوايَا

وَلَكِنَّهُ حَبِيسُ عَهْدٍ بِعَدِيدِ جُرحٍ

وَلَقَدْ نَالَ مِنْهُ قَبْلكِ نِساءٌ خَلايَـــا

يَدَّعِينَ صِناعَةَ الحُبِّ وَتَفعِيلِهِ ثُمَّ

يَجْعَلنَ مِنْ كُلِّ بُرجِ محبَّةٍ مَنَايَا

كُنَّ هَكَذَا مَعَ قَلبِيَ المُتَآلِفِ فَصَدَمْنَهُ

كُلُّ صَدمَةٍ قَدْ جَعلَتهُ خَاوِيَـــا

يَعقِدُ عَلَى نَفسِهِ مِنْ عُقُودِ الصَّبرِ

مَا لَـمْ يَعقِدْهُ قَمرٌ بَقِيَتْ فِيهِ شَظَايَا

بَعْضُ الحَياةِ يَا سَمِيعَتِي

لَيْسَ فِيْهَا مِنْ ثَناءٍ يَصْحَبُنَا أَوْ يُجَارِيَا

مَا قَدْ أسلَفنَاهُ مِنْ بُغْضٍ فِينَا فَكَيْفَ

بِدَاخلِ القَلبِ الحُبُّ وَالبُغضُ يَتَسَاوَيَا

إِنَّ كُلَّ قَدَرٍ سَاقَنِي إِلَيْكِ كَانَ

عَنْ بَقِيَّةِ الأَقْدَارِ السَّابِقَةِ مُتَغَاضِيَـــا

حَتَّى أَنَّ حيرَتِي بَاتَتْ تُعذِّبُنِي

هَلْ أَنْتِ مِثلَهُنَّ أَمْ أَنْتِ كَيانٌ مُتَجَافِيَا

عَنْ مَغبَّاتِ الغَدرِ وَكَلِمَاتِ الفَصلِ

الذِي فِي مُنحَنياتِهِ قَتلٌ للرِّجَالِ مُتَفَانِيَا

لَا يُقاسُ الوَاحِدُ عَلَى الجَمِيعِ وَلَكِنَّ

الجَمِيعَ يُقاسُ عَلَى أَحدِ الخَفَايَا

إِنْ كُنْتِ مُختَلِفَةً عَنْهُنَّ فَأَعِيرِينِي

غَيْرَهُنَّ لَـمْ يَخْدَعْنَنِي بِسَابِقِ المَعانِيَا

سِهَامُهُنَّ لَقَدْ كَانَتْ دَقِيقَةً حَتَّى

جَعلَتْ كُلَّ هَدَفٍ لَهَا بِقَلبِي مَآسِيَا

وَمَا ذَنبُكِ أَنْ أَقُصَّ عَلَيْكِ فِعلَهُنَّ

إِلَّا أَنَّكِ مُنتَسِبَةً لَـهُنَّ نَسَباً مُتَمَاحِيَا

فَلَيْسَ فِي جَنبَاتِ النِّسَاءِ مَآثِرٌ

وَلَكِنَّ حُسْنَهُنَّ يَجْعَلُ الرِّجَالَ عَامِيَا

اعْلَمِي أَنَّنِي بِجَوهَرِكِ مَفتُونٌ

وَاجْهَلِي أَنَّنِي بِرَجَائِكِ عَافِيَا

فَكُلُّ أَصلِ لِقاءٍ بَيْنَنَا هُوَ وَهْمٌ

صَنعنَاهُ يَجعَلُ مِنْ كِلَينَا سَاعِيَا

نَحوَ أَمَلٍ فِي حُبٍ صَادِقٍ يَسمُو

بِقَلبَينَا إِلَى أَمَانٍ دَائِمٍ وَكَافِيَا

وَخِلالَ الأَيَّامِ رُبَّمَا تَبَاعَدنَا

وَكِلَانَا يَدرِي مَا لِنَظِيرِهِ مِنْ قَدْرٍ خَافِيَا

إِنَّ إِشْرَاقَكِ لَكَمْ كَانَ صَافِيَاً

لَقَدْ أَعَادَ إِلَى قَلبِي نُورَاً كَانَ مِنْهُ خَالِيَا

وَإِعْمَالُكِ لِلْبَسْمَةِ أَضْعَفَ تَجَاهُلِي

لِعُمُومِ النِّسَاءِ فِي حَيَاتِي مَآلِيَا

ثُمَّ جَلَسْتُ أُفَكِّرُ وَقَلبِي الجَرِيحِ

يُؤَكِّدُ لِي عِزَّ حَاجَتِهِ إِلَى قَلبٍ وَافِيَا

وَلَكِنِّي أَذكِّرُهُ بِأَسْلَافِكِ مِرَارَاً

فَيَضطَّرِبُ خَائِفَاً وَيَبدُو نَاسِيَاً

إِنَّ بِدَايَتِي فِي الحُبِّ كَانَتْ جَرِيئَةً

وَإِنَّ خَلَاصِي مِنْهُ كَانَ كَسَادًا بَالِيَا

وَإِنَّ مَا أَعلمُهُ عَنْكِ حَقًّا لَقَليلٌ
وَإِنَّ مَا أَجهَلُهُ فِيكِ خَوفٌ نَافِيَا
لِـمَا يَبدُو عَلَيكِ مِنْ مَفَاتِح العَزْمِ
وَالعَزْمُ سَهمٌ فِي أَرضكِ جَارِيَا
رُبَّمَا كَثُرَ بَحَثُكِ عَنْ رَجُلٍ وَفِيٍ
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِنَ أَمَانِيكِ وَقَافِيَا
إِنْ ضَاقَ بَحْثُكِ فَقد اقتَرَبَ
وإِن طَالَ يَأسُكِ فَهو حَيٌ بَاقِيَا
أَمَّا عَنِّي فَمَا أَنَا إِلَا شَاعِرٌ
يَتَلَقَّى الضَّربَاتِ وَسَرِيعُ التَّعَافِيَا
وَلَكِنِّي لَا أَؤول إِلَيْكِ حَتْمًا
فَرِقَّتُكِ نَفِيسَةً عَلَى فَقْرِي المَاحِيَا
وَإِنْ أَعجبْتُكِ فَإِنِّي لَا أَنْفَعُكِ

فَمِثْلِي هَواءٌ يَخِرُّ ثُمَّ يَرْتَفِعُ مَاضِيَا

وَكَيْفَ لِي بِاحْتِمَالِ شَغَفِكِ

وَكُلُّ مَادَّةٍ لَدَيَّ لَيْسَ سَقفُهَا هَاوِيَا

لَا تَنظُرِي بِعَينِي آمِلَةً جَمعِي

فَأَنَا مَكسُورٌ لَا أَسيرُ فِي الحُبِّ مَاشِيَا

مَا كَانَ هَذَا ذَنبُكِ قَطْعَاً وَمَنْعَاً وَلَكِنَّ

فِي المَوَارِيثِ كَمَا الكُنُوزُ بَلاوِيَا

وَإِنْ ظَننتِي بِإِمكَانِكِ عَودَتِي قَوِيًّا

فَلَيْسَ كُلُّ ظَنٍ إِلَى البَاطِلِ دَاعِيَا

وَلَكِنَّ قَلْبِي مَا عَادَ يَأْمَنُ العَوَاقِبَ

وَزَمانُنَا فِيهِ السُّفُنُ تَحْتَ المَاءِ جَوارِيَا

إِنْ كَانَ هَذَا تَبَايُنَاً مِنِّي تَاللهِ

مَا عُدْتُّ أَعلَمُ فِي شَكلِي مَنَاحِيَا

إِنْ جَامَلْتُ نَفْسِي فَإِنِّي أَنصَحُهَا

بِالذَّهَابِ إِلَيكِ عَدْوَاً غَاوِيَا

وَإِنْ قَبَّحْتُ نَفْسِي فَإِنِّي أَنْصَحُكِ

بِعَدَمِ التَّطلُّعِ إِلَيَّ ثَانِيَا

أَمْرُنَا يُشبِهُ أَمْرَ غَرِيبِينِ تَلَاقَيَا

لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ حَالِهِ رَاضِيَا

سَأَذهَبُ إِلَى أَبِيكِ لأُخبِرُهُ أَنِّي

لَا أَنْوِي الزَّوَاجَ مِنْكِ وَإِنْ كُنْتُ نَاوِيَا

❋ ❋ ❋

مَنْ تَحْسَبِينَ نَفْسَكِ

مَنْ تَحْسَبِينَ نَفْسَكِ

حَتَّى بِكَسْرِي تَسْعَدِي

وَكَيْفَ يَنحَنِي قَلْبُكِ

عَلَى بَواقِي سَاعِدِي

كَيْفَ تَـحْسَبِينَ أَنِّي

بَاقٌ إِلَى الأَبَدِ

فِيكِ وَلَكِ أُغَنِّي

وَأَسْرُكِ لِي وَعْدِي

هَلْ تَرَينَ الدُّنْيَا

لِوَجْهِكِ تَرتَعُدِ

أَمْ أَنَّ القَمَرَ بِرُؤيَاكِ

يَسْتَحِي وَيَبْتَعُدِ

أَوْ ضَاقَتْ حَلَبَاتُ الجَمَالِ

لَمَّا لَا لِلبَسْمَةِ تَسْتَنِدي

هَلْ شُهُورُ الدُّنْيَا زَادَتْ بِكِ شَهرَاً

بِهِ يَرتَاحُ النَّاسُ مِن الكَبَدِ

أَوْ جَلَبتِي لِلأَرضِ عَلَى قَمَرِهَا قَمَرَاً

يَكُ بَدْرَاً لَـهَا وَيَكُ سَرْمَدِ

أَوْ تَنْهَالُ عَلَيكِ أَناسِيُّ الدُّنْيَا شُكْرَاً

حَيْثُ تَقفِينَ بَيْنَهُمْ وَتَقْتَعُدِي

انْظُرِي كَيْفَ تَصْفُو

السَّماءُ بِلَا عَمَدِ

وَانْظُرِي لَوْ ذَهبتِي أَنْتِ

لِفَضَائِهَا بِكُلِّ وَرْدِ
أَصْدِقِينِي لَنْ يَهُمُّهَا مَنْ أَنْتِ
وَإِنَّمَا سَتَرْجُفُكِ بِبَرْقِهَا وَبِالرَّعْدِ
خَالَ لَكِ وَتَيَقَّنْتِي أَنَّكِ
الكَيَانُ الدَّائِمُ المُنْشَدِ
لِكُلِّ مَنْ كَانَتْ عَيْنُهُ
بِرُؤيَاكِ يَوْمًا تُوعَدِ
فَدُمتِي فِي غِطْرِسَةٍ وَفِي كِبَرٍ
تُوَبِّخِينَ القَرِيبَ حَتَّى الأَبْعَدِ
اسْتِحْيَاءُ امْرَأَةَ مُوسَى مَا كَانَ إِلَا فِطْرَةً
فُطِرَتْ عَلَيْهَا أَنْ كَانَتْ لَا تَعْتَدِي
وَاسْتِحْيَائُكِ مِنْ تَوبِيخِي مَاتَ بِقَلْبِكِ
فَانْظُرِي كَيْفَ تُوبخِينَ وَكَيْفَ تَعبُدِي

وَانْظُرِي إِنْ كَانَتْ لَكِ عَلَيَّ حُجَّةٌ
فَإِنَّ حُجَّتِي عَلَيْكِ أَلَّا بِقَلبِي تَخلُدِي
صِناعَةُ الحُبِّ تُوقَفُ عَلَى القُلُوبِ
فَصَنعَ قَلبِي حُبًّا وَقُلتِي مُشَرَّدِ
وَإِلَّـمْ تَكُن المَشاعِرُ حَبِيسَةً
فَلَيْسَتْ إِلَّا حَدَثاً كَانَ مُجَرَّدِ
فَلَرُبَّمَا زِنْتِي نَفْسَكِ فَوازَنِتِي الجَمَالَ
وَلِذَلِكَ فَأَنْتِ عَلَى كُلٍ تَعتَدِي
وَلَكِنَّكِ حِيْنَمَا يُدرِكُكِّ السَّقَمُ
سَتُبدِينَ شَاحِبَةً تَحْتَاجِينَ مُجلَّدِ
أَوْ حِيْنَمَا ترمِي المَلائِكَةُ حُبًّا لِعَبْدٍ
فَلَنْ تَرمِي إِلَى عَبْدٍ بِالكِبَرِ مُكَبَّدِ
لَا أُنكِرُ أَنَّكِ الفَرِيدَةُ التِي رَأَيْتُهَا

وَأُقِرُّ بِأَنَّكِ لِي ذِكرٌ مُؤَبَّدِ

وَلَكِنَّ غَيظِي فِي تكوينِ فِعْلكِ

فَكَمَا أَحْبَبْتُكِ كما أَنزَلْتِي يَدِي

عَنْ أَنْ أَسْتَمِرَّ فِي مَجَاهِيلِ حُبِّي

وَأَكْتفِي بِذَمِّ كِبَرِكِ المُبَلِّدِ

سَلِينِي يومًا أَيْنَ وِجهَتُنَا

وَسَأَجِيبُ الوجهَةَ مِنْ سَابِقِ المَجِيدِ

فَإِنَّ الذِي اجْتهدَ خيرًا

فَإِنَّ أَمانَهُ غَالِبًا لَـمُوجَدِ

أَمَّا الذِي قَدْ اجْتَهدَ أَذَىً

فَإِنَّ اللهَ هُوَ المُشَيِّدِ

وَدَعِينِي أُخْبِرُكِ بِأَنِّي مُسامِحٌ

إِيَّاكِ إِلَّا كِبَرِكِ المُعَادِي

أَتُرِي كَيْفَ الآنَ فِكْرُكِ

يَا مَنْ لَـهَاهَا الظَّنُّ أَلَّا تُحْسِنَ الرَّدِ

وَقَدْ أَصْبَحْنَا وَحيدينِ بِالفِكرِ

وَكلينَا يَعِيبُ مَا بَلِي مِن مَرَدِّ

غَريبَينِ فِي كَآبَةِ الأَمْرِ

فَأَقدَارُ الدُّنْيَا لإِيَّانَا تَهتَدِي

سَريقَينِ فِي لَحَظَاتِ الزَّمَانِ

وَطَالِبَينِ لِلمَجْدِ

أَظُنُّكِ قَدْ أَعْدَدتِي صُندُوقَاً

تَلْقُفِينَ فِيهِ بَواقِي مَشْهَدِي

فِيهِ رَجَمتِي حُبِّي

وَفَكَكْتِي مَعْقِدِي

وَانْتَزَلْتِي أَمْطَارَ الرُّعْبَ لِقَلبِي

الذِي ظَلَّ مَسْجِدِ
لِعُرُوقِهِ فَدَامُوا يُصَلُّوا لِـمَنْ
أَحَبُّوا الحَبيبَ المُفْرَدِ
إِنَّمَا لَيْسَت الدُّنْيَا بِحَقيقَةٍ
أَنْ تَتعَالَي عَلَى مَنْ جَاءَ لَكِ مُجِدّ
وَكَانَ بِمَقدُورِهِ جَمعُ الدُّنْيَا لَكِ
عَلَى أَنْ تَجمَعِي نَعَمْ كُنْ الوَافِدِ
وَلَكِنَّ الذِي جرَى خَرقُكِ للخُلُقِ
رُغْمَ أَنِّي لِلخُلُقِ لَسْتُ مُسَوِّدِ
لَوْ أَجبتِيني بِحُبُّكِ لَصَنَعْتُ لَكِ سِرَاجَاً
مُتَوَهِّجَاً لِأَزمِنَةٍ مِن الشِّعرِ مُمْتَدّ
لَـمْ يَأتْ بِهِ مِنْ قَبْلِي شَاعِرٌ
وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مُتكَفِّلٌ بِتَحَدِّي

لَقَطَعْتُ أَلْفَ أَلْفَ مِيلٍ عَمْيَاً
لِأَجْلِ أَنْ أَسْأَلَ كَيْفَ تُرَوَّدِي
وَرَجِعْتُ بِقَلْبِي زَمَنَاً كَيْ
أَقْتَنِي لَكِ مِنْهُ كُلَّ مُسْعِدِ
وَقَدِمْتُ بِحِسِي زَمَنَاً
فَأَحزَنُ أَنْ مِن الدُّنْيَا تَتَجَرَّدِي
لَمَا كَانَ عَلَيَّ مِنْ سُلطَانٍ
فِي هُزْمَانِ مَا آتانِي مِنْ نَكَدِ
لَكُنْتُ أَنَا الأَسْعَدُ مِنْ بَيْنِ السَّعِيدِينَ
لِأَنَّهُمْ كُلِّ سَعْدَهُمْ مَا كَانَ لِيَزِنَ سَعْدِي
لَكُنْتُ جَامِعَ كُلَّ نَقِيصٍ
يُمكِنُ أَن لَكِ يَجتَدِي
وَرَافِعُ كُلَّ خَفِيضٍ مِنْكِ كَمَا

يُرفَعُ الوَاقِعُ عَلَى الأَرضِ مِن الشَّهْدِ
وَسَامِعُ كُلَّ صَرِيخٍ
تَصْرُخينَ بِهِ فِي المَهْدِ
سَأَتْلو عَلَى الزَّمانِ أَنِّي مَلِلْتُ الدُّنْيَا
فَمَا أَنْتِ وَمَا أَنَا إِلَّا بِمِنْهَا مُطْرَدِ
وَمَهْمَا كَانَتْ العَواتِيبُ فَقَدْ
اخْترتِي أَنْ لَسْتُ أَنَا الذِي لَهُ تَزهَدِي
اذْهبِي وَصَلِّي لَرُبَّمَا تُمسِينَ
سَمِحَةً بِلَا كِبَرٍ وَلَا عُقَدِ
وَاذْكُرِي لَوْ أَمْكَنَ الذِّكْرُ
بِأَنِّي أَنَا الشَّابُّ المُجَعَّدِ
لِـمَا رَأى مِنْ حَبِيبَتِهِ رَأياً
جَعلَهُ يَكرَهُ أَن بِشَيْءٍ يُزَوَّدِ

وَفَاءُ المَرْأَةِ مُؤَقَّتٌ

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ قَالَتْ

كَانَتْ علاَقَةُ عَمَلٍ فَلَمَّا انْتهَى مَاتَتْ

وَيْلُ التَّأَسِّي وَعُسْرُ التَّحسِّي

وَمَا عَزَّ عَلَى العَاشِقِينَ وَصفَهُ لَحْظَةً حَانَتْ

الْتَقَى فِيْهَا قَلبينَا بِمسودَّةِ الرِّيحِ

وَالْتَئَمَا حَتَّى مِنْ حِدَّتِهمَا الرِّيحُ عَانَتْ

لَا شَيْءَ فِي الدُّنْيَا يُوحِّدُ الْمُحبِّينَ

إِلَا إِذَا بِنَفسِ الحِملِ قُلُوبُهُمْ مَالَتْ

قُلْتُ يَا رَوْحِي يَا حَفِيظَةَ قَلْبِي

أَيَكُونُ حُبُّنَا مُتَوَّجٌ بِالسِّنِين وَإِنْ طَالَتْ

قَالَتْ يَا عِزِّي يَا كَفيلَ عَينِي

بَلَى وَلَوْ تَضَادَّتْ بِنَا الدُّنْيَا وَسَاءَتْ

وَتمرُّ الأَيامُ وَالحُبُّ مُتصاعِدٌ فِيْنَا

حَتَّى رَأينَا السَّماءَ تَحْتَنَا فَاتَتْ

تَكلُّفٌ وَشَغفٌ وَرَحمَةٌ وَحِسبَةٌ

حَملنَاهَا بِجِدٍ وَفِي مَأرَبِ عُمرِنَا دَامَتْ

وَتَكدَّسَتْ الأُمورُ وَأَنَا حَمِيٌ غَيورٌ

وَلَكِنَّهَا أَخْبرتنِي أَنَّهَا عَنْ كُلِّ رَجُلٍ صَامَتْ

وَقَالَتْ غَيرُكَ لَا يُناسبُنِي وَلَا يُحاسبُنِي

وَلَسْتُ امْرَأَةً إِلا لِشَخصِكَ الثَّابِتْ

فَمَا رَأَيْتُ المَاضِي عِنْدَ قَولِـهَا وَلَا هَمَّنِي

الحَاضِرُ بِبُعدِهِ إِلا حَيْثُ مَدَّتْ

يَدهَا عَازِمَةً عَلَى الرَّحيلِ للغَيبِ

فِي مَعِيَّتِي وَعَينُهَا بِالدُّموعِ فَاضَتْ

قُلْتُ وَاللهِ إِنَّكِ لِوجْهَتِي التِي

أَرتضيهَا حَيًّا وَمَيتًا وَخَاشِعًا قَانِتْ

كَانَ هَذَا عَهدٌ فِي حَياتِي يَندرُ

فَصَحَّ فِكرِي عَلَى إِنفَاذِهِ وَإِنْ السَّاعَةُ قَامَتْ

مَرْدُودٌ كَانَ فِكرِي لِصَحَّةِ عَقْلِي

وَمَردُودٌ كَانَ عَقْلِي لِصَحَّةِ قَلْبِي وَبَائِتْ

ثُمَّ وَلِأَنَّ الغَيبَ أَقوَى مِن الخَلْقِ

إِذَا بِالسِّهامِ نَحْوَ صُدُورِنَا أُرسِلَتْ

فَقُلْتُ إِنَّ فَقْرِي يَبْدُو هُوَ عَيبِي

قَالَتْ أَبدًا مَا النَّاسُ إِلا بِخُلُقِهَا سَادَتْ

قُلْتُ وَلَكِنَّ أَهلَكِ قَدْ لَا يُحِبُّونِي

قَالَتْ أَنْتَ أَهلِي وَنَفْسِي لَكَ بِنَفْسِهَا دَانَتْ

فَكَانَ كَلامُهَا عَلَى عُرُوشِ الدُّنْيَا

يُتوِّجُنِي مَلِكَاً وَأَفعلُ فَقَطْ مَا شَاءَتْ

حُبٌّ لَا يُمكِنُ للدُّنْيَا أَنْ تُورِّثَهُ

وَلَيْسَ فِي الآخرةِ قُلُوبٌ بِهِ عَانَتْ

مِضْمارُهُ وَفاءٌ شَدِيدٌ وَصِدْقٌ

وَغِمارُهُ حَنانٌ مِنْ كَثرتِهِ الدُّنْيَا فَاضَتْ

يَعلَمُ اللهُ أَنِّي أَحببْتُهَا شَابَّاً

وَأَنَّ ذرَّاتِ جَسدِي فِي مَحبّتِهَا شَابَتْ

فَازدَادَ سَخطُ أَبوهَا وَغَضبُهُ

وَأَخذَ يُدْلِي بِرَفضِهِ لَهَا حَتَّى ذَابَتْ

فَإِذَا بِهَا تُغيِّرُ الأَزياءَ بَغْتَةً

وَعَلِمْتُ حِيْنهَا أَنَّ كُلَّ أَقْدَارِي هَانَتْ

فَلَا هِيَ تُحِبُّ تُبَاشِرُنِي أَصْبَحَتْ

وَلا هِيَ تَهجُرُنِي جَهراً لِي أَعْلَنَتْ

فَلَمَّا سَأِمْتُ الصَّمتَ وَالمَوتَ

قُلْتُ أَلَـمْ يكُنْ بيْنَنَا خَيْطٌ مُتَنَابِتْ

قَالَتْ عَزَّ بَصَرِي وَضَعُفَ سَمعِي

وَأَصْبَحَتْ حيَاتِي عَذَابٌ بَاهِتْ

وَإِنَّ أَبِي فِيْكَ لَيُقاتِلُنِي عَادَةً

فَإِنْ نَسيَ أَمْرَكَ قَليلاً عَادتهُ عَادَتْ

قُلْتُ وَهَلْ خَصَّنِي بِالذِّكرِ وَعَابَنِي بِالفِكرِ قَالَتْ

بَلْ أَلمَحَ وَأَفصَحَ عَنْ وَصفِكَ الخَافِتْ

قُلْتُ فَمَاذَا عَنْكِ يَا حَامِلَةَ أَمَلِي

فَإِذَا بِهَا حَجَرٌ عَنْ الجَوابِ صَامِتْ

وَرَأَيْتُ أَمامَ عَينِي وَقائِعَ حُبِّهَا

فَصُعِقْتُ أَيَّاماً حَتَّى عَينِي أَفاقَتْ

فَهَمَمْتُ بالحَدِيثِ مَعهَا دَقائِقَ

فَطَلبَتْ عدمَ الحَدِيثِ وَبِالفرَاقِ هَمَّتْ

قُلْتُ وَلَكِنِّي ميتٌ بِدُونِ حُبُّكِ

قَالَتْ موتُكَ وَحَيَاتِي أُمُورٌ تَشَابَهَتْ

قُلْتُ وَلَكِنَّنَا كُنَّا عَلَى عَهْدٍ عَتيقٍ

قَالَتْ كَلامٌ جَميلٌ بِهِ الأَلْسُنُ تَفوَّهَتْ

قُلْتُ فَمَاذَا تَبَقَّى إِذاً مِنْ بَعْدكِ لِي قَالَتْ

يَبْدُو أَنَّنِي رَأيتُكَ مِنْ قَبْلُ وَأَضَافَتْ

نَعَمْ نَعَمْ كَانَتْ بَيْنَنَا عَلاقَةُ عَملٍ

قُلْتُ نَعَمْ فَلَمَّا انْتهَى نَفْسُكِ إِلَيْكِ آبَتْ

***

سُكَّان القَمَر

نَسْتَعِيدُ مِنْ بَابِ الحَيَاةِ دُخُولا

فَنجِدُ العَقْلَ أَصابَهُ ذُهُولا

فَلَقَدْ وَطِأنَا القَمَرَ دُونَ عِلمٍ

فَمَا رَأينا عَنْ وَاقعِنَا عُدُولا

فَقُلْتُ لحبيبتِي هَلْ تَألَمِينَ

قَالَتْ إِنَّ الأَلَمَ بِجِوارِكِ جَميلا

وَمَشينَا إِلَى بَيتٍ نَصنعُ شَكْلَهُ

رَاغِبينَ مِنْ اللهِ لِلرَّاحَاتِ دَلِيلا

قَالَتْ إِنَّ سَاقِي بِهَا جُمُودٌ ظَاهِرٌ

وَلنْ أَسْتطِيعَ السَّيرَ طَويلا

فَحَمَلْتُهَا عَلَى قَلبِي وَهِيَ تَبتَسِمُ

وَكَأَنَّهَا لَا تُرِيدُ للأَبدِ نُزُولا

حَتَّى أَدرَكْتُ ضَوئًا خَافِتًا

يُشيرُ إِلَى أَرضٍ بِهَا للبِنَاءِ قَبُولا

فَقُلْتُ لهَا هُنَا نَبنِي بَيتَنَا

وَلَنْ يَكُونَ فِي الكَونِ لِحُسْنِهِ مَثِيلا

وَبَدَأنَا فَكَانَ البِدءُ خَالِصٌ

وَكَانَتْ أَيدِينَا بِالبَهاءِ تَمِيلا

فَانْتَهينَا مِنْ بِنَائِهِ فِي يَومٍ وَاحِدٍ

وَاليَوْمُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ كَسُولا

فَقَالَتْ لِي وَأَيُّ شَيْءٍ نَطْعَمُ

وَالقَمرُ لَيْسَ بِأَركانِهِ مَحصُولا

فَقُلْتُ صَبرًا حَتَّى نَستقِي فَلولا

المَاءُ مَا كَانَ للحَيَاةِ حُلُولا

فَطَرقْتُ اللَّيلَ بِأرجُلٍ خَائِفَةٍ

وَعَينِي تَخشَى مِنْ السَّماءِ وُجُولا

فَإِذَا بِبِئرٍ تُجِيدُ التَّخفِي

خَلفَ مَا للصَّخرِ مِنْ جَسَدٍ ثَقِيلا

فَذقْتُ المَاءَ فَوجدْتُّهُ طَيِّبَاً

وَكَأَنَّهُ مِنْ الجَنَّةِ بَقايَا سَلسَبِيلا

فَذَهبْتُ بِهِ للبَيتِ مُنْتَصِرًا

أَسوقُ الخَبرَ لامْرَأتِي فِي فُضُولا

فَقَالَتْ إِنَّ أَمَلِي فِي البَقاءِ بَاتَ

مَوجُودٌ وَأنَا وَأَنْتَ لَنْ نَزُولا

فَقُلْتُ قَطْعَاً يَا رَفِيقَتِي

فِي دَارِ البَقاءِ وَدَارِ الرَّحِيلا

وَنِمنا لَيلَتنَا الأُولى في حَالةٍ

مِن التَّعَبِ الأَبِيِّ وَالخَوفِ المَهُولا

وَقَالَتْ مَاذَا لَوْ قُمْنَا بِغَيرِ الأَرضِ

قُلْتُ إِنَّ اللهَ قَدِيرٌ جَلِيلا

فَسَبَّحنَا حَتَّى نَفدَ التَّسبِيحُ مِنَّا

وَأَخذنَا النَّومُ أَخْذاً وَبِيلا

فَظَهرَ بِحلمِنَا القَمَرُ بِشَخْصٍ

قَالَ كَيْفَ وَجدتُّمَا لأَرضِي سَبِيلا

قُلْنَا مَا وَجَدنَا وَإِنَّمَا وُجِدنَا

فَمَا اسْتطعنَا لِعِزِّ حَالِنَا تَبدِيلا

وَكُنَا نَراكَ المُنِيرَ وَالمُشِيرَ

إِلَى نعومَةِ السَّماءِ ذَاتِ التَّبجِيلا

فَمَا تخَيَّلنَا يومَاً طَرقَ أَراضِيكَ

حَتَّى رَأَيْنَاكَ الآنَ خَجُولا

قَالَ وَمَا يُدرِيُكُمَا بِخَجَلِي

قُلْنَا لَـهَجَتُكَ لَيْسَ فِيْهَا تَرتِيلا

قَالَ لَقَدْ رُبِيتُمَا فِي بَيتِ نُورٍ

حَتَّى أَصَابَكُمَا مِنْ العُلُوّ قَبِيلا

فَركنُكُمَا وَشِقُّكُمَا بِهِ كَرامَةٌ

لَيْسَ فِي عِزِّ العَالَمِينَ تَجُولا

وَبِالقَلْبِ فِي كِليكُمَا توهُّجٌ نَدِيٌّ

يَجعلُ الأَمَاكِنَ تَنتقِي التَّقْوِيلا

فَأَحلامُكُمَا لَيْسَ بِهَا مَآبٌ

إِلَى نيةِ القَطعِ أَوْ التَّوصِيلا

لِـمَا شَابَها وَعَمَّهَا مِنْ الهَمِّ

الذِي رَاغَ فِي الأَرضِ حُقُولا

فَالأَرضُ بَاتَ ذَرعُهَا يَضِيقُ
بِالمُخلِصِينَ أَكثرَ مِنْ الجَهُولا
أَقمتُما للحُبِّ مُقَامَاً مَهِيبَاً
فَجَفَّ حُبُّكُمَا بِالبَحرِ المُمِيلا
وَكُنْتُمَا فِي إِساءَةِ النَّاسِ تَنتَظِران
فَأَتاكُمَا النَّصرُ آجلاً وَعَجُولا
حَتَّى اهْتزَّ رَكبُكُمَا فِي مَحضِ أَرضِكُمَا
فَبِتُّمَا بِالقَمَرِ وَالأَحداثُ فُصُولا
أَمَّا الآنَ فَلَيْسَ لَكُمَا عِنْدِي ضِيافَةٌ
وَلَكِنَّ مُلكِي لأَحلامِكُمَا مَسْئُولا
فَقُمْنَا بِصَباحٍ تَكثُرُ بِهِ النَّسَائِمُ
وَتَحاكَينَا مَا رَأينَا فِي عَجبِ المَقِيلا
قُلْتُ يَا حَبيبَتِي إِنَّ قَدَرَنَا قَادِمٌ

فَإِمَّا الإِكمَالُ وَإِمَّا التَّكمِيلا

فَإِلَّمْ يَكُنْ بِيَدِنَا لَوازِمُ حَيَاتِنَا

فَالبَحثُ طَرِيقُنَا وَفِي الأَسبابِ وُصُولا

قَالَتْ عَمَّا نَبحَثُ وَأَنَّى نَبحَثُ

وَأَنْتَ تَرى الفَضَاءَ مُتَّسِعًا يَسِيلا

قُلْتُ مَا اتَّسعَ إِلا لِيَسَعَنَا

وَمَا ضَاقَ إِلَّا بِالعَبدِ الضَّئِيلا

فَاصبِرِي حَتَّى نَجدَ مَا يَكفِينَا

لِـما يَأتِينَا مِنْ الأَيامِ فِي زِيٍ مَنقُولا

وَقَالَتْ يَكادُ الجُوعُ يَقْتُلنِي

فَهَلْ لَكَ أَنْ تَأتِينِي بِطَعامِ العُقُولا

قُلْتُ انْتظِرِي حَتَّى أَعُود وَسَآتِي

لَكِ بِمَا تُحِبِّينَ فَالرَّزقُ مَوكُولا

وَظَلَلْتُ أَبحثُ وَعَينِي مُلتهِبَةٌ

مِنْ أَثرِ النَّظرِ السَّريعِ شُكُولا

حَتَّى رَأيْتُ عُوداً أَوْحَداً

فِيْهِ ثَمرَةٌ عَجيبَةُ التَّشكِيلا

فَقَطفْتُهَا فِي فَرحٍ وَهَرعْتُ

عَائِدًا لامْرَأَتِي وَطَعامُهَا مَكفُولا

فَدَخلْتُ البَيتَ فَلَمْ أَجدهَا

فَأَصَابَنِي إِعصارٌ جَعلَنِي عَليلا

وَتَفقَّدْتُ مَا حَولَ بَيْتِنَا وَحَولَهُ

وَلَكِنَّ الفَراغَ بَيْنَنَا يَحُولا

وَصِرتُ أَبكِي وَالبُكاءُ حَثِيثٌ

عَلَى لَمسِ الأَمَانِيِّ بِقَلْبٍ نَبيلا

وَعَزمْتُ عَلَى البَحثِ بِالقَمَرِ كُلِّهِ

وَثمرتُهَا بيَدِي أَقبضُهَا مَقتُولا

وَأَصرخُ باسْمِهَا صُراخَ رَضيعٍ

تَركتهُ الأَزمِنَةُ فِيمَا بيْنَهَا ذَلِيلا

وَلَها فِي قَلْبِي يَدٌ وَعَينٌ

وَلَها فِي رَوحِي أَنفاسُ الخُصُولا

وَبِتُّ أَرتَجفُ مِنْ حُزنِي عَلَى أَثرِهَا

حَتَّى أَدركَ جَسَدِي تَردُّدٌ مَغلُولا

فَلا أَثرَ لَها وَلَا أَثِيرَ وَلَا تَأثِيرَ

آهٍ يَا رَبِّي أَمْرِي إِلَيْكَ أُحِيلا

فَمَا مِنْ حَولٍ لِي وَلَا قُوَّةٍ

يَا مُقَلِّبَ الأَحياءِ عَلَى التَّقلِيلا

وَمِنْ شِدَّةِ العَياءِ أَسقطنِي النَّومُ

فَمَا شَعرْتُ بِجَسَدِي بَأَرجائِهِ يَصُولا

فَجَاءتنِي بِمَنامِي وَهِيَ تَنطَوِي

عَلَى حُزنٍ فِيْهِ عَلامَاتُ رَحِيلا

قُلْتُ مَا بكِ يَا فَالِقَةَ قَلْبِي

هَلْ جَارَ عَلَيْكِ أَحدٌ دُونَ المُيولا

قَالَتْ نَدَبَنِي أَبَوَيَّ إِذْ أَنَّنِي

لَا أَسْتطِيعُ العَيشَ فِي سَطحٍ خَذُولا

فَنَحْنُ يَنقُصُنَا الكَثيرُ مِن الأَشْيَاءِ

التِي تَجعَلُ حَيَاتَنَا لائِقَةَ التَّأوِيلا

قُلْتُ وَلَكِنِّي وَعدْتُّكِ بِالبَحثِ

وَالرِّزقُ لَا يُحبُّ مَنْ كَانَ عَجُولا

قَالَتْ لَيْسَ لِي جِدَارٌ وَلَا أَوتارٌ

حَتَّى أَرتضِي بِمَا لِلعَذابِ سهُولا

وَأَنْتَ تَدرِي كَمْ تَضعفُ المَرْأَةُ

فَعِزُّ حَاجَاتِهَا أَمْرٌ مَفصُولا

وَإِنَّنِي مَا أَحببتُ إِلا خَيطُكَ

الذِي أَوصَلنِي إِلَى قَمَرٍ خَـمُولا

فَلَيْسَ فِيْهِ يَا حَبِيبِي إِلا هَواءٌ

يجْعَلُ الجَسَدَ ضَعيفاً نَحِيلا

قُلْتُ أَيُّ حَديثٍ هَذَا الذِي

تَقُولِيهِ وَأَيُّ حَديثٍ أَقُولا

أَتُسقِطِينَ عَهدَنَا أَتقتُلِينَ وَعْدَنَا

إِنَّ الإِنسانَ عَنْ الصَّبرِ مَعزُولا

قَالَتْ وَكَيْفَ أَصبرُ عَلَى مَا لَا أُبصِرُ

قُلْتُ وَهَلْ فِي لَـمْحِ الغَيبِ تَنزِيلا

مَاتَ الأَنْبِيَاءُ يَا عَزِيزَتِي

وَلَنْ نَرعَى مِنْ حَالِنَا إِلَّا المُثولا

وَإِلَّمْ نَكُنْ أَصْحابَ نِعمَةٍ وَاسِعَةٍ
مَا أَدركنَا القَمَرُ وَاصِلاً وَمَوصُولا
فَأَيُّ حَيَاةٍ تُحبِينَ وَأَيُّ مَوتٍ تَكرهِينَ
أَرَأَيْتِي بِمَا عَزَّ لِـحُبِّنَا مَكِيلا
فَإِنَّنَا فَوقَ النَّاسِ لَا مِثْلهُمْ
وَفِي العُلُوِّ زِينةٌ مَهيبَةُ التَّعلِيلا
أَلَّا نَخُوضَ حِيناً حَتَّى نَسْتلهِمَ
مِنْ أَصلِ مَكانِنَا مَعاشَاً مَعدُولا
وَهَلْ فِي دَربِ المصائِبِ إِلا المَكَاسِبُ
التِي يُحصيهَا النَّاسُ بِأَجلٍ مَسْدُولا
إِنْ كُنْتِ تُحِبِّينِي فَانْتَظرِي مَعِي
وَإِلَّا فَمَا الحُبُّ إِلا كَذِبٌ مَـخذُولا
قَالَتْ أُحبُّكَ وَأَتركُكَ وَلَنْ أُفارِقَ

بِقَلْبِي مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ أَصلِ الأُصُولا

قُلْتُ لَكِ مَا أَردتِّي مَا دُمتِي تَركتِي

فَإِنِّي قَابِعٌ بِمَا أَنَا فِيْهِ أَبَدَاً فَصِيلا

فَإِنْ أَدرَكَنِي جَدِيدٌ غَيْرَ مَوتِي

فَكُلُّ جَدِيدٍ بِدُونكِ هُوَ مَوتٌ بَدِيلا

وَلَكِن قَبْلَ أَنْ تَرحَلِي خُذي ثَمَرَتكِ

هَذِهِ إِنِّي أَتَيتُ بِهَا مِنْ عُودٍ مَقبُولا

فَلَمَّا أَكلَتْهَا اسْتَيقظْتُ قَائِمَاً

فَالحُزنُ وِجْهَتِي وَالعُمرُ مَوئُولا

وَقُلْتُ لَقَدْ اخْتَارَتْ أَنْ تَموتَ مَعِي

فَمَاذَا جَعلَهَا لِوَعْدِهَا تُزِيلا

وَمَشيتُ أَذكرُ أَحداثَ حَيَاتِنَا

مِنْ الحُبِّ الذِي فِي وَصفِهِ تَغوِيلا

حَتَّى رَأيتُ قَصْرًا يقتَربُ

لَهُ قَامَةٌ أَعْلىَ وَلَهُ السِّعةُ تَدْوِيلا

فَدَنوتُ مِنْهُ وَقَدْ اسْتدَارَ بِي

فَأَصْبَحْتُ فِي سَاحَتِهِ مَركَزاً مَبذُولا

فَإِذَا بِامْرَأَتِي قَادِمَةً نَحْوِي

قُلْتُ أَلَـمْ ترحَلِي يَا حُبِّي المَعِيلا

قَالَتْ أَبَدَاً بَلْ كُنْتُ أَبحثُ مِثْلُكَ

عَنْ مَكَانٍ أَصَحُّ لِحَيَاتِنَا يؤُولا

حَتَّى وَجدْتُّ هَذَا القَصْرِ المصنوعِ

مِنْ أَعجَبِ مَادَّةٍ وَأَروَعُ تَفصِيلا

قُلْتُ وَلَكِنَّكِ فِي مَنامِي أَتيتِي

وَقُلْتِي سَأرحلُ لِأَبَوَيَّ بِوَجْهٍ مَأفُولا

قَالَتْ بَلْ كَانَ القَمرُ مَنْ أَتاكَ

فِي شَخصي يختبرُ صَبرَكَ الجَميلا

فَلَمَّا وَجدَكَ صَابِرًا أَهدانَا قَصْرَنَا

نَحصُرُ فِيْهِ الحُبَّ حَصْرَاً مُسْتَحِيلا

فَسَقَطَتْ حِيْنهَا آلامِي وَأَحْلامِي

وَاسْتَعدْنَا مِنْ بَابِ الحَيَاةِ دُخُولا

❊ ❊ ❊

مُرَاجَعَـــــــــــةَ

أَيْنَ العَيْبُ فِي حُبِّي

وَمَا مِنْ مُـحِبٍ مِثْلِي يُعْرَفْ

وَلَكَمْ كَانَ شَوقِي وَرُعبِي

إِلَيْكِ كُلَّ حِيْنٍ بِكُلِّ حُبٍ يَنْصَرِفْ

وَمَا دَامَتْ السَّماوَاتُ وَالأَرضُ أَحبَبتُكِ

وَمَا دَامتْ مَدينَةٌ للأَنْبيَاءِ مِن الشَّرَفْ

وَأَسْقَطْتُّ أَمَامَ حُبِّي كُلَّ مَسَاوِئٍ

لَعَلِّي أَنقى لِكُونكِ بِلَا حَذْفْ

وَأَنلْتُك مِنْ كَلامِي كُلَّ قَصَائِدٍ

مَا كُتِبَت فِي امْرَأَةٍ وَلَنْ تُسْتَأنَفْ

وَأَقسَمْتُ عَلَى حُبِّي كُلَّ قَسَمٍ
وَاللهُ يَدْرِي كَمْ كُنْتُ أَنَا مُنْصِفْ
مَا لَكِ مِنْ حُجَّةٍ تُقِيمِيهَا
تُثبتِي بِهَا سَلامَةَ فُرَاقٍ يَنزِفْ
وَمَا عَلَيْكِ مِنْ دِيونٍ تَدفعيهَا إِذْ أَنَّكِ
فِي حَقِّ قَلْبِي صَرفتِي كُلَّ صَرفْ
وَحُسْبانُ مَا لَقِيَ قَلْبِي إِذاً
مِنْ النُّفُورِ وَالرَّفضِ وَالسَّرفْ
فَإِنِّي مَا لَقِيتُ الحِسَّ مُواجَهَةً
وَإِنِّي مَا لَقِيتُ امْرَأَةً لَا تَخَفْ
فَيَكُونُ خَوفُهَا مِنْ قِلَّةِ حُبِّهَا
وَيَكُونُ أَمانُهَا مِنْ وَهْمٍ يَنسِفْ
جَاوَرْتُكِ وَقُلْتُ عَاشِقٌ ثُمَّ

فَارقْتُكِ بَأَمرِكِ وَقُلْتِي لَا تُضِفْ

وَفَارقْتُكِ أَأَزالُ عَاشِقٌ

وَقَدْ هَدَمتِي كُلَّ طَرِيقٍ لَكِ فِيْهِ أَقِفْ

أَيْنَ وَعْدُكِ بِدَوامِ حُبُّكِ

وَالذِي مَاتَ فِي أَوَّلِ مُنحَرَفْ

وَكَيْفَ لِقَلْبُكِ أَنْ يَعِدَ دَوْماً

وَهُوَ حَتَّى خَوضَ الحُبِّ لَا يَعرِفْ

إِنْ كَانَ لِلنَّادِمينَ كَوكَبٌ

فَلَهُمْ فِيْهِ نِصْفٌ وَلِي النِّصفْ

وَإِنْ كَانَ للعَاشِقِينَ كَونٌ

فَأَنَا المَلِكُ فِيْهِ لِـجَمالِكِ المُتْرَفْ

فَلَدَوَامَا رَأَيتُكِ خَالِصَةَ الحُسْنِ

وَمَا خِلتُ جَمِيلَةً مِثْلِكِ وَلَنْ أَعرِفْ

وَحقلُ الجَميلاتِ عَصَبُ قُدرَةٍ
فَجَعلَكِ اللهُ قوِيَّةً بِالنُّورِ تذرِفْ
لَيْسَ الكَلامُ بِكَافٍ حُرقتِي
وَالسُّكوتُ نَارٌ بِكَياني تَلْحَفْ
وَالهَوانُ قُدِّرَ أَأَرتَدِيهِ
أَمْ أَنِّي قَدْ مَاتَتْ مَا لِي مِنْ حِرَفْ
أَقضِي بِهَا حَاجةَ قَلْبٍ فَقيرٍ
إِلَى مُحِبَّةٍ لَيْسَ لَهَا فِي الدُّنْيَا عُرْفْ
إِنَّ عِنَادِي لَيْسَ لِعِلَّةٍ يُنسَبُ وَلَكِنَّ
عَجَبِي لِعَدمِ وُجُودِ مَنْ مِثْلِي بِي تَشْغَفْ
إِلَيْكِ أُهْدِي كُلَّ حَسَرَاتِي
وَلَا أَنْتَظِرُ مِنْكِ رَأَفْ
فَلَقَدْ اعْتَدتُّ عَلَى فَقرِ النِّسَاءِ

فِي إِحْصاءِ حُبٍ لِـحُبِّي يَكْفْ

إِذاً عَلَيَّ الاجْتِهَاد كُلِّه حَتَّى

نَحْوَ الحُورِ رَبِّي بِي يَقذِفْ

أَوْ أَنْ تتَجَلَّي بِمُعْجِزَةٍ

كَامِلَةُ الحُبِّ التِي حُبُّهَا لَا يَتْلَفْ

كَذَلِكَ قَالَ صَاحِبِي العَبقرِيُّ

يَصْعُبُ وُجُودُ مَنْ كَمَا وَصَفتَهَا تَصِفْ

قِياسَاً عَلَيَّ أَنا كَانَ قَولُهُ

وَقَدْ حَصَرَ فِيهِ تَفسِيراً يَشْفْ

وَاسْتَمِرِي فِي رُؤيَةِ النَّاسِ

عَلَى أَملِ حُصُولكِ عَلَى شَخْصٍ أَعَفْ

أَوْ مَنْ يُحبُّكِ أَكثرَ مِنِّي

وَأَكثرَ مِنِّي عَلَيكِ يَخَفْ

فَإِلَّمْ تَجِدِي وَلَنْ تَجِدِي

فَاعْلَمِي أَنِّي قَدَرُكِ المُؤسِفْ

* * *

حُبٌّ مُتَأَخِّر

رِيفُ الجَمَالِ مِنْ شُعَبِهِ وَالحَضَرُ

جَاءُوا إِلَيْكِ خَاشِعِينَ يَعتَذِرُوا

فَلَقَدْ سَهُوا زَمناً عَمَّا تَنشُرِيهِ مِنْ

آثَارِ نُورٍ لِلأَزمِنَةِ يَختَصِرُ

وَبدَوتُ أَنَا وَأَنَا مِن السَّاهِينَ عَنْكِ

فَلَمَّا أَفقْتُ وَجدْتُّ قَلْبي يَحتَضِرُ

فَلَقَدْ اخْترتِي لِنَفْسِكِ حَيَاةً وَمَتاعَاً

وَدَنوتِي مِن الذِّهَابِ إِلَيْهَا دنُوَّ فَجْرُ

فَمَا أَظْهَرْتُ إِلا العَجزَ الذِي أُجِيدُهُ

وَأَنْتَظِرُ رَحِيلَكِ مِثْلَمَا موتِي أَنْتظِرُ

إِلَّا أَنَّ المَوتَ فِيهِ عَدْلٌ وَحَقٌّ
أَمَّا بُعْدكِ فَهُوَ عَينُ الظُّلمِ وَالشَّرُ
وَمَنْ يَبنِي لِحَيَاتِهِ مِنْ دَونِ حُبٍ
فَلَقَدْ بَنَا لِـمَوتِهِ مِنْ دُونِ أَنْ يَشْعُرُ
شَقِيٌ أَنَا فِي رُؤيَتِكِ مُتَشَبِّثٌ
أُسَبِّحُ الذِي مِنِّي وَمِنْ جَمالكِ أَكبَرُ
وَأُراجِي فِيْكِ ظَنَّا رُبَّمَا يَخِيبُ
وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكِ عَلَى نَفْسِكِ أَقدَرُ
لِأَنَّ الأَحْداثَ لَيْسَتْ كُلُّهَا مِيراثٌ
وَيَستَطِيعُ الإِنسَانُ سَاعَةً أَنْ يتغيَّرُ
إِذَا مَا أَبْصَرَ هَواهُ لَيلَةً وَمُنَاهُ
يُدركُ حِيْنهَا أَنَّهُ بِسَعادَةِ قَلْبِهِ أَجدَرُ
أَمَّا تِكرارُ المادَّةِ وَإِنصَافُ العَادَةِ

جَهلٌ يَجعلُ الحَيَاةَ حَرفًاً في سَطْرُ

وَإِنِّي لَـمَّا زُرتُ عَيْنَيْكِ أَوَّلَ لِقَاءٍ

كَأَنِّي مِنْ بَيْنِ غُيُوبِ الجَمَالِ أُعبْرُ

فَمَا وَصلْتُ إِلَى مُتَّصَلٍ وَلَا مُنْفَصَلٍ

وَرَأيتُ نُورًا أَخْضَرًاً يَتبَعُهُ نُورٌ أَخْضَرُ

كَفيلٌ بِي رَسْمُكِ وَكَفيلٌ بِأَهلِي

فَإِنِّي إِذَا مَا نَظرتِي إِلَيَّ بِالكَمَالِ أَشْعُرُ

وَلَا إِحسَانَ عِنْدِي وَلَا إِنسانَ بَعْدِي

سَيَجعَلُ أَحشائَهُ لأَجلِكِ يُنشَرُوا

مُتَذكِّرٌ لِقَطراتِ فَضْلُكِ وَقَولُكِ

فَلَيْسَ لَدَيَّ غَيرُهُمَا شَيْئَاً أَتَذَكَّرُ

وَلَـمَّا قَالَ لِي أَبِي سَهَّلَ اللهُ لَكَ

رَأَيتُكِ بِهَا وَقَدْ كَانَتْ دَعْوَةَ العُمْرُ

فَسَهُلَتْ بِرُؤيَتِك حَيَاتِي وَحُلَّتِي

وَجَمَعْتُ لِـمِيزانِ الدُّنْيَا مَا بِهِ أُنصَرُ

أَيَا مَنْ حَكَمَتْ قُلُوبَاً لَا قِبَلَ لِي بِهَا

إِنَّ قَلْبِي فِي انْضِمَامِهِ إِلَيْهِمْ يُعْذَرُ

وَهُوَ الذِي خَاضَ فِي الحُبِّ المعَارِكَ

فَعَاشَ إِمَّا مُنْتَصِرٌ وَإِمَّا مُنْتَظِرُ

فَمَا انْتِصَارُهُ وَلَا انْتِظَارُهُ إلا لَـمحَةٌ

فِي دَورَانِ صَوْتُكِ المُضِيْءُ المُثمِرُ

أَخْبرِينِي كَيْفَ تُجِيدِينَ الصَّمْتَ دَهرَاً

عَنْ حُبِّي الذِي أَمْضِي إِلَيْكِ ألفَ دَهْرُ

رُغْمَ أَنِّي أَسْمَعُ حَدِيثَ قَلْبِكِ وَعَينكِ

هُوَ مُصِرٌّ عَلَى الحُبِّ وَعَلَى الحُبِّ هِيَ تُصِرُّ

إِنْ كُنْتِ تكتُمينَ عَنِّي الكَثِيرَ

فَإِنَّ مَا أَكتمُهُ عَنْكِ مِن الحُبِّ أَكثَرُ

فَكَيْفَ إِذَاً جَمعَنَا اللهُ بَغْتَةً وَحِكمَةً

وَنَحْنُ نعجزُ عَنْ فِعْلِ مَا عَلَيْهِ نَقدِرُ

أَلأَنَّ خيالِي وَجَدَ فِيْكِ سِعتَهُ وَوُصُولَهُ

أَمْ لِأَنَّكِ وَجدتِي فِيَّ الحِلمَ وَالصَّبرُ

أَمْ لِـخَوفِي عَلَى ثَنايَاتِ حَيَاتكِ الذِي

يَجْعلُ مِنِّي لَا أَعرِفُ كَيْفَ أُبصِرُ

وَمَنْ تَخَطَّى غَيْرِكِ جِدَارَ الرُّوحِ بِقُوَّةٍ

وَأَقرَرْتُ لَكِ وَحدَكِ بِمَا كُنْتُ أُنكِرُ

إِنَّ زَحْفَ الأَيامِ إِلَى مَوقعِنَا هَيِّنٌ

إِذَا أَبْصَرْنَا مَا يَنبَغِي أَخيرَاً أَنْ نُبصِرُ

فَلَا تَنْجِيَةَ لِلبَدَنِ إِنْ هَلَكَ القَلْبُ

وَكُلُّ حَيٍ بِدَورَانِ قَلْبِهِ دَائِرُ

وَنِعمَ مَا تُعَامِلِينِي بِهِ مِنْ مَنعٍ وَقَطْعٍ

فَلَقَدْ مَنحَنِي عِزَّ الأَحْلامِ وَالشُّكرُ

فَمَا أَرَى لِـحَيَاتِي مِنْ بَعْدُ اتِّزَانَاً

إِلا إِنْ وَزَنتِي قَلْبَكِ عَلَى ذَاتِ قَلْبِي وَالصَّدرُ

وَكُنْتُ لَـمَّا رَأيتُكِ تبْكِينَ عَلَى حَالِي

تَيقَّنْتُ أَنَّ مَعَ أَوجِ العُسْرِ يُسْرُ

لَا أُبالِي بِمَنْ خَلَّفتُهُمْ لِأَجْلُكِ

مَهْمَا كَانَتْ الفَوارِقُ وَعَلَتْ النَّظَائِرُ

مَاضِيَاتٌ قَادِمَاتٌ أَوْ الآنَ

فَكُلُّ النِّسَاءِ حَلقَةٌ حَولَ شَكْلكِ تُدَوَّرُ

إِنَّ الذِي صَوَّرَكِ يَعْلَمُ أَنَّنِي

مَدِينٌ لَكِ بِذَاتِي يَا أَحْكَمَ الصُّوَرُ

أَنَفتَرِقُ وَنَحنُ عَالِقِينَ بِالهَوى

إِنَّ هَذَا لَأَمْرٌ لَيْسَ لنَا فِيْهِ أَمْرُ

فَإِنْ كُنْتِ تَخَافِينَ حُزنَاً قَريبَاً وَفِتنَةً

فَإِنَّ قَتْلَ الحُبِّ لِكُلِّ حَيَاةٍ مُدَمِّرُ

أَنَا لَا أَنهَاكِ عَنْ مَعروفٍ وَلَا آمُرُكِ

بِمُنكَرٍ وَلَكِنِّي مَعروفٌ فِي حَيَاتِكِ مُنكَرُ

وَلَقَدْ تَفقَّدْتُّ الأَرضَ فِي عَينِ شِدَّتِي

فَاسْتَبعَدتُّ أَنْ تُثمِرَ بِمَا يَليقُ بِقَلْبِكِ السَّائِرُ

وَاسْتَضعَفْتُ نَفْسِي وَأَنَا ضَعِيفٌ

ثُمَّ قَرَّرْتُ مَا أَردْتُّ دَومَاً أَنْ أُقَرِّرُ

فَجَمعْتُ كُلَّ قُوَّةٍ نَحْوَ ثَرَاءِ عَطْفِكِ

وَاثِقَاً بِاللهِ وَمِنْ كُلِّ مَانِعٍ أَمُرُّ

فَإِنْ وَصلْتُ إِلَيْكِ فَذَاكَ مُبتَغَايَ

مِنْ حَيَاةٍ لَيْسَ لِدُونِكِ عِنْدِي فَيْهَا قَدْرُ

انْظُرِي إِلَيَّ وَلَا تَتعجَّلِي الزَّمنَ

فَإِنَّ الزَّمنَ لَا يَسبِقُ دِقَّةَ النَّظَرُ

وَضَعِي فِيَّ ظَنًّا لِآمَالك بَعيدٌ

وَسَأُحْسِنُ المَسيرَ وَأُواصِلَ السَّيرُ

فَلَنْ أَقِفَ إِلَّا أَمَامَ قَلْبُكِ الذِي

وَسِعَ مَكاسِبَ الجَمَالِ عِنْدِي وَالخَسَائِرُ

وَإِنْ مَرَّتْ أَعْوَامٌ وَمَا زِلنَا أَحْيَاءٌ

سَتَرِينَ كَمْ أَنِّي بِكِ مِن الأَحْياءِ أَجْدَرُ

❋ ❋ ❋

أَنْتِ اخْتِيَارِي

أَنْتِ اخْتِيَارِي بَعْدَ تِكْرَارِي..

بَحثاً طِيلَةَ لَيلِي وَنَهَارِي..

أَنْتِ مُلْتَقَى أَجْمَلُ الأَشْياءِ..

وَمُجْتَمَعُ أَحْمَدِ الصِّفاتِ..

وَسَفِينَتِي فِي بِحَارِي..

أَنْتِ مَهْمَا أَنشدتُّكِ الشِّعرَ..

فَلَنْ أَسْتطِيعَ..

وَلَا امْرُؤُ وَلَا الْمُتَنَبِّي..

وَلَا شَوقِي وَلَا نِزَارِ..

أَنْتِ قَدْ مَلكتينِي تَفْكيرًا..

وَدَاومتينِي تَأَمُّلاً..

وَتَقَدَّمْتِي أَخْبارِي..

أَنْتِ مَليئَةٌ بِالأَشْواقِ..

وَعُذوبتُكِ لَا تُطاقُ..

أَنْتِ نَباتِي وَأَشْجارِي..

أَنْتِ يَختلفُ النَّسَقُ..

وَيَجتَمعُ بَعْدَ كُلِّ غَسَقٍ..

عَلَى أَنَّكِ الجَميلَةُ بِلَا غُبَارِ..

أَنْتِ تَشتاقُ النَّفسُ..

وَيضطربُ الحِسُّ..

إِلَيْكِ يَا شَديدَةَ الفنارِ..

أَنْتِ جَمَالٌ مُنْهَال..

مِنْ أَجلِهِ تَهونُ الثِّقال..

يَا قِمَّة كُلَّ الجبَال..

وَيَا مَنْ لِلنَّعيم مِنْظَارِ..

أَنْتِ مُخْتَلَطُ الألوانِ.. إِذَا كَانَتْ جَميلَة

وَمُعْترك الأَزْمَانِ.. لِأَيُّهم خَليلَة

وَإِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ.. دَومًا دَليلة..

وَلِذَلِكَ فَوقَّرَكِ الوَقارِ..

أَنْتِ الحِصَانُ الأَسودُ..

ابْيَضَّ فَوْقَ جِسرِ أَرضكِ..

وَظَلَّ يَتعجبُ وَللسَّببِ يَستدرك..

حَتَّى أُفْهِمَ أَنَّهُ بِأَرضٍ..

مَخْلُوقَةٍ أَعَزَّهَا الغَفَّارِ..

أَنْتِ سَماءٌ ثَامِنَة..

وَأَسرارٌ كَامِنَة..

وَطيبَةُ الأَشرارِ..

أَنْتِ عِيَارٌ مِنْ ذَهَب..

لِكُلِّ ثَمَنٍ اسْتَعَب..

فَلَا يَقدرُ عَلَى شِرائِهِ..

إلا أَهلُ الجَنَّةِ الأَبْرَارِ..

أَنْتِ تَلاقٍ لِكُلِّ تَائِه..

وَتَغَيُّرَ مَساقِ كُلِّ سَافِه..

وَعَاشِقَةُ تَسْبِيحِ رَبِّ المَواجِهِ..

أَنْتِ الانْتِصَارِ..

أَنْتِ الدَّورَةُ الكَامِلَةُ..

وَالعَورةُ الخَامِلَةُ..

وَالمَرْأَةُ العَامِلَةُ..

فِي بَيتٍ بِالحَقِّ مُنارِ..

أَنْتِ مِنْ كُلٍ تَسْتَحِين..

وَنِعمَ أَخْلاقُ الدِّين..

لَا تَنظُرِي حَيْثُ تَسرِين..

وَيُوجِّهُكِ الجَبارِ..

أَنْتِ تكادِينَ كَوْنَاً..

بِلَا شَوَائِب..

تَنَامِينَ أَمنَاً..

مِنْ كُلِّ رَاهِب..

يَا مَنْ للسُّوءِ انْهيارِ..

أَنْتِ حَقٌّ لَا يَمَسُّهُ بَاطِل..

وَنَهَجٌ لَا يَنْتَهِجُهُ غَافِل..

إِلَّا وَكَانَ مِن المُهَّارِ..

أَنْتِ خَلاَصٌ جَمِيل..

لَكُلِّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ طَويل..

فِيْكِ عِزَّةُ الذَّلِيل..

وَطيبةً كَهَابِيل..

أَنْتِ اشْتِيَاقُ الزُّوارِ..

أَنْتِ أَمَلٌ بَاق..

إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ أَسْتَاق..

يَا هِبَةَ الخلاق..

وَيَا خَيالِي وَأَفْكَارِي..

أَنْتِ طَقسٌ مُعتَدِل..

يَنْتَهِي بِالرَّوعَةِ وَيَسْتهِل..

فِيْهِ تَندرُ الأَمطارِ..

أَنْتِ طَليقَةُ الأَمَل..

وَحَبيبَةُ العَمَل..

فِيْكِ مِنْ السَّماءِ انْفطَارِ..

أَنْتِ كَوَاسِطَةِ العُقدِ..

بِدُونِهَا لَا يَثْمنُ وَلَا يُجدِي..

لَا تَخلِينَ مِنْ الزُّهدِ..

أَنْتِ بِلَا افْتِقَارِ..

أَنْتِ العَافيَةُ لِكُلِّ سَقِيمٍ..

بِرُؤيَاكِ سَتأتيهِ..

وَالنَّاصِيَةُ لِكُلِّ حَليمٍ..

لَكِ مُنْتَهيهِ..

لَا تَعرفينَهَا.. وَلَا تَعرفُكِ النَّارِ..

أَنْتِ الخُلاصَةُ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ..

دَعَا إِلَى العَلاءِ..

وَالدِّراسَةُ فِيْكِ كَدراسَةِ عَسلٍ..

كَانَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاء..

أَنْتِ رِمَالُ الصِّفَارِ..

أَنْتِ نَادِرَةُ الوُجُود..

كَجَمِيلِ نَباتٍ موجُود..

وَلَكِن بِالصَّحارِي..

أَنْتِ رَبيعٌ مُنْجَلِي..

للسَّنةِ أَصْبحَ مُعْتلِي..

فَلَا بَردٌ وَلَا حَرٌّ وَلَا خَريفٌ..

أَلا إِنَّ هَذَا لَـهُوَ الإِبْهَارِ..

أَنْتِ العِشْرَةُ التِي لَا تهونُ..

وَكُلَّمَا طَالَتْ تُسْتأنَفُ..

فَلَيْسَتْ فِيْكِ صِفةُ التِّكرَارِ..

أَنْتِ لَوْ رَآكِ أَهلُ الأَرض..

لَصُعِقُوا طُولاً عَلَى عَرض..

لِأَنَّ الأَرضَ مَا كَانَتْ لِاسْتيعَابَكِ..

يَا صَاحِبَةَ الهَمسِ فِي القَرارِ..

أَنْتِ مَساحةُ الثَّروات..

وَتكَافُأ النَّبضَات..

وَغَريبُ العلاجات..

لِـمَنْ كَانُوا للحِقدِ أَنصَارِ..

أَنْتِ لَـهفَةُ المُتَرقِّي..

وَمُتعَةُ المُتَخفِّي..

وَرِيشَةُ المُتَنَبِّي..

بِلَا فَتحٍ وَلَا اخْتصَارِ..

أَنْتِ رُعبُ المُخلِّين..

أَلَّا يكُونُوا مُوفَّقِين..

وَشَمسُ المظلمِين..

بَعْدَ أَنْ دَامُوا عَمِين..

وَفِي وَصفكِ الاخْتبَارِ..

أَنْتِ جُعْبَةُ المِيرَاث..

مِنْ كُلِّ خَير..

وَنِعمَةُ اسْتبَاق..

الطَّيرُ بِالطَّير..

أَنْتِ سَكينَةُ الدِّيارِ..

أَنْتِ خِصلَةُ التَّحلِّي..

وَحَلاوَةُ التَّأنِّي..

مَذكُورَةٌ بِلَا أَذْكَارِ..

أَنْتِ مَا كَانَ امْرُؤ..

لأَنْ يَتخيَّلكِ..

وَمَا آلَ الْمُتَنَبِّي..

لِأَنْ بِخَيالِهِ يَفهَمكِ..

وَلَوْ تَرحرَحَ شَوقِي..

وَشَوقِي لما تَصوَّرَكِ..

وَكُلُّ مَا قِيلَ فِي غَيْرِكِ..

حَقارَةُ أَشْعَارِ..

أَنْتِ كَثيرٌ مِنْ النَّاسِ..

لَاذُوا بِنِسْيَانكِ..

وَإِذَا ذُكِّرُوا بِكِ قَالُوا..

لَا ضَـــرَرَ وَلَا ضِـرَارِ..

***

الفهرس